البحوث والدراسات

دلالات رمز الأفعى على الأختام الدلمونية في مجتمع جزيرة فيلكا ومدى توافقها مع دلالات وممارسات المجتمعات والحضارات الأخرى

د. ماجد مدله المطيري*

ملخص:

الأختام الدلمونية في جزيرة فيلكا كثيرة ومتنوعة، والدراسة الوحيدة التي تناولت مجموعة أختام من عدة مواقع أثرية في جزيرة فيلكا، هي دراسة قدمها الدانمركي بول كيروم سنة ١٩٨٣؛ حيث قام بجمع وتصنيف الأختام الدلمونية من مواقع: F3, F5, F6، وقد بلغ عددها ٤٢٨ ختماً. وقام بوصفها بشكل عام دون تحديد دلالات التصاوير والرموز التي تحتويها، ومن خلال دراسة كيروم جاء هذا البحث – وهو الأول من نوعه – ليناقش تصوير الأفعى المكرر في الأختام الدلمونية ليحقق الجوانب المهمة الآتية: تعرف أنواع الأفاعي وأشكالها في البيئة الكويتية ومنطقة شبة الجزيرة العربية. حصر عدد الأختام الدلمونية التي تحمل تصوير الأفعى في دراسة كيروم ومن ثم تصنيفها بحسب الموقع الأثري، وأخيراً دلالات تصوير الأفعى على الأختام الدلمونية وربطها مع ما يشابهها من دلالات وممارسات في مجتمعات الحضارات الأخرى.

المقدمة:

من الجميل أن يتعرف الإنسان ثقافات الحضارات والمجتمعات المتنوعة القديمة، والثقافات الحديثة والمعاصرة ما هي إلا امتداد لتلك المجتمعات والثقافات القديمة، والأجمل من ذلك أن يجد بعض هذه الثقافات متوافقة في

* مدرس بقسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، دولة الكويت.

ممارساتها ومتشابهة في كتابة رموزها وتصاويرها التعبيرية. فكل عمل سواء كان عملاً فنياً، أدبياً، اجتماعياً، دينياً، فكرياً، وإبداعياً ما هو إلا نتاج ثقافة الإنسان؛ فاالثقافة – كما عرفها إدوارد تايلور عالم الأنثروبولوجيا الشهير – هي "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف، وكل القدرات والعادات والتقاليد والفنون والآداب والأخلاق..." (١).

يتمحور البحث الحالي حول نوع من الثقافة التي من الممكن أن نستنبطها من آثار العالم القديم، وهو دلالات رمز الأفعى على الأختام الدلمونية في مجتمع جزيرة فيلكا، خلال العصور البرونزية (٣٢٠٠–١٢٠٠ ق. م)، التي سادت في الخليج العربي آنذاك، وهي ثقافة حضارة دلمون(٢). والأفعى هذا المخلوق الذي برز بشكل لافت كموضوع غرائبي في المثيولوجيا القديمة وتناولته الكثير من الديانات بما فيها الديانات السماوية، يمكن أن نعتبره حالة خاصة مستقلة بذاتها، ولها جذور تاريخية عميقة في الفكر الإنساني، وقد لعبت دوراً مهماً وكبيراً في الفكر العقائدي الذي من خلاله أسست العديد من المعتقدات والممارسات الدينية. والذي يجذب الانتباه هنا أن موضوع الأفعى الذي اتخذ الكثير من الأساطير والحكايات والروايات والجوانب المختلفة والمتنوعة من الدلالات والرموز والتصاوير، لم ينته ولم ينقطع في سائر الأزمنة اللاحقة بل بقي مستمراً ومحافظاً على ديمومته، وذلك عن طريق تناقل هذا الكم الهائل من الإرث التاريخي والأسطوري من جيل إلى جيل ومن مجتمع إلى آخر؛ الأمر الذي أوجد لدينا تراثاً متراكماً خاصاً بهذا الحيوان إلى وقتنا الحاضر.

---

(١) Mahaba, Hisham M. (2000). Snakebite: epidemiology, prevention, clinical presentation and management. Annal of Saudi Medicine. Vol. 20. No. 1, p 66-68.

(٢) دلمون حضارة نشأت في الخليج العربي، تعود للعصر البرونزي، وموقعها الجغرافي يمتد من مملكة البحرين وشرق المملكة العربية السعودية وجزيرة فيلكا في دولة الكويت. وقد تميزت هذه الحضارة بأختامها المتنوعة، ووجدت في أماكن متعددة مثل بلاد الرافدين، الخليج العربي، بلاد السند وبلاد آمور في سوريا انظر: آل ثاني، هيا. (١٩٩٧). الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ: صلات دلمون بآمورو والآموريين ٢٠٥٠–١٥٣٠ ق.م. مصر: مركز الكتاب للنشر. ص ٣٢–٣٦.

أهداف الدراسة:

جاءت هذه الدراسة لتحقق الأهداف الآتية:

١- تعرف بعض أنواع الأفاعي في دولة الكويت وشبه الجزيرة العربية وبحر الخليج العربي.

٢- تحديد وإحصاء عدد الأختام الدلمونية التي صور عليها رمز الأفعى في دراسة كيروم لأختام جزيرة فيلكا.

٣- تصنيف هذه الأختام التي وجد عليها رمز الأفعى بحسب الموقع المكاني.

٤- تعرف ممارسات ودلالات تصوير رمز الأفعى المحتملة على الأختام الدلمونية في جزيرة فيلكا.

٥- تعرف مدى هذه الممارسات والدلالات وموافقتها ومشابهتها مع مثيلاتها في حضارات ومجتمعات أخرى.

أهمية الدراسة:

هناك الكثير من الدراسات التي ناقشت وتناولت الأفاعي وأنواعها وفصائلها بشكل مفصل وكبير، وهذه الدراسة أيضاً سلطت الضوء على بعض أنواع الأفاعي التي تعيش في دولة الكويت وباقي منطقة شبه الجزيرة العربية. ولكن أهمية هذه الدراسة تأتي باعتبارها من الدراسات القلائل التي تناقش رمز الأفعى على الأختام الدلمونية التي وجدت في جزيرة فيلكا. والحقيقة أن هناك الكثير من الرموز التي صورت على هذه الأختام والتي تحتاج ربما إلى مئات الدراسات لحصرها ومناقشتها ولكنني اخترت رمز الأفعى؛ لأني وجدت أن هذا الحيوان العجيب موجود دائماً في كثير من الفكر العقائدي والتاريخ الإنساني على مر العصور، وقد ظهر في العديد من النصوص والنقوش والأختام والتصاوير والكتابات التي تعود لحضارات ومجتمعات مختلفة. وقد تكرر رمز الأفعى في الأختام الدلمونية في مجموعة كيروم (٥٢) مرة وكل الدراسات السابقة التي نشرت عن أختام جزيرة فيلكا كانت بمثابة دراسات وصفية وتصنيفية لهذه الأختام بشكل عام دون أخذ أي رمز أو تصوير عليها بعين الاعتبار أوعلى وجه

الخصوص ومعرفة دلالاته الثقافية والحضارية. وهي على النحو الآتي: دراسة أعدها عضو فريق البعثة الدانمركية للآثار بول كيروم ونشرت سنة ١٩٨٣ عن الأختام الدلمونية في جزيرة فيلكا، وجمع كيروم فيها نحو ٤٢٨ ختماً من مواقع مختلفة مثل موقع F3, F5, F6، وكل الأختام تعود إلى فترة ٢٠٠٠ ق.م، (وهي فترة المدينة الثانية بحسب تصنيف الطبقات في موقع قلعة البحرين أقدم موقع دلموني في الخليج العربي)، ما عدا الأختام التي وجدت في موقع F5 التي تعود للفترة الهلنستية تقريباً (من ٣٢٥ حتى خلال القرن الأول ق. م)[٣]، وقام بوصفها وتصنيفها دون تفصيل عن دلالات الرموز التي عليها[٤]. وأصدر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب سنة ٢٠١٢ دراسة قامت بها هيلين ديفيد كوني وأزبيتيا، وجمعت فيها أختام موقع الخضر الدلموني، التي بلغت نحو ٧٢ ختماً، وفي هذه الدراسة تم وصف الأختام وتصنيفها أيضاً دون مناقشة الرموز بشكل مفصل أو أخذ أحد الرموز وتبيان دلالاته الحضارية[٥]. وحديثاً – سنة ٢٠١٦ – أصدر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب أيضاً دراسة أخرى لهيلين ديفيد كوني ونيمي، تناولت موقع F6 وخاصة موقع قصر الحاكم، وقد حصر فيها نحو ١٤٠ ختماً دلمونياً[٦]، وكمثيلاتها من الدراسات السابقة تم وصف الأختام الدلمونية وتصنيفها دون الاهتمام بالرموز التي تحتويها على وجه خاص أو تناول أي منها على حدة. لذلك جاءت هذه الدراسة لتبيان رمز

(٣) Caubet, A. - Salles, J.-F. 1984: Le sanctuaire hellénistique (B6). In: Salles, J.-F. (sous la dir.): Failaka. Fouilles Françaises 1983. Lyon - Paris, 73-156.

(٤) Kjaerum, P. (1983). Failaka/Dilmun: the second millennium settlements, the stamp and cylinder seals. Jutland Archaeological Society Publications XVII, 1.

(٥) Davied-Cuny, H and Azpeitia, J. (2102). Failaka seals catalogue: volume 1 Al-Khider. Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters.

(٦) Davied-Cuny, H and Neyme, D. (2016). Failaka seals catalogue: volume 2 F6 "The Palace". Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters.

الأفعى أو تصويرها على الأختام الدلمونية في جزيرة فيلكا، وتصنيفها مرة أخرى على أساس الموقع، الذي من الممكن أن يدل على قدسية الموقع الذي توجد فيه أختام عليها تصوير الأفعى بكثرة، كما سنرى لاحقاً. وتطرقت هذه الدراسة أيضاً لاحتمالات معاني رمز الأفعى ودلالاتها على الأختام الدلمونية وربطها بما شابهها من رموز وتصاوير وممارسات في الثقافات والحضارات المختلفة(٧). الجدير بالذكر هنا أن أختام فيلكا ومدافن الظهران والبحرين متشابهة إلى حد كبير(٨)، فليس هناك أي داعٍ للمقارنة بينها.

منهج الدراسة وخطواتها:

هذه الدراسة قامت على المنهج الوصفي والتحليلي؛ فهي اعتمدت الأختام التي جمعت ووصفت وصنفت في دراسة أعدها كيروم لأختام جزيرة فيلكا الدلمونية ١٩٨٣، وذلك من أجل التركيز على وجود رمز الأفعى في هذه الأختام.

(٧) ملاحظة: لقد طلبت من إدارة الآثار والمتاحف الأختام التي وجد عليها رسم الأفعى في دراسة كيروم وفقاً للأرقام المدونة فيها، وقد قامت مشكورة بتزويدي بالأختام ولكنها غير مطابقة لصور الأختام في دراسة كيروم، لذلك آثرت أن أبقي على الأختام في دراسة كيروم وأرقامها في هذا البحث كما هي لسببين: ١- لتكون هذه الدراسة أكثر دقة وعدم العبث في صور الأختام الأصلية التي وجدت في دراسة كيروم.
٢- للرجوع للأختام بسهولة ويسر متى أراد القارئ ذلك.

(٨) الدويش، سلطان. (٢٠١٥). المواقع الحضارية على الساحل الغربي للخليج العربي حتى القرن الثالث قبل الميلاد: دراسة آثارية مقارنة. الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية. ص ٢٥٤. انظر كذلك: بيبي، جيوفري. (١٩٨٥). البحث عن دلمون. نيقوسيا: دلمون للنشر. ص ٥١٥. وكذلك انظر: البدر، سليمان. (١٩٧٤). منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث ق. م. الكويت: مطبعة حكومة الكويت. ص ص ١٣٤-١٣٥. وانظر: كيروم، بول (٢٠٠٢). فن دلمون الخفي: الأختام – بقايا الفردوس. ترجمة: محمد الخزامي. مملكة البحرين: وزارة الإعلام والتراث الوطني. ص٣٢.

وتم فيها حصر عدد الأختام التي تحمل تصوير الأفعى أو رمزها، وأعيد تصنيفها مرة أخرى على أساس الموقع الأثري الذي وجدت فيه. وقد جمعت الكثير من المصادر والمراجع والمعلومات التي تناولت رمز الأفعى ودلالاته واستخداماته في حضارات مختلفة وثقافات متنوعة.

ولذلك أتت هذه الدراسة لتحقيق المحاور الآتية:

المبحث الأول: يتألف من مطلبين:

المطلب الأول: تعرف بعض أنواع الأفاعي الموجودة في دولة الكويت وشبه الجزيرة العربية وبحر الخليج العربي.

المطلب الثاني: جمع وتصنيف الأختام الدلمونية التي وجد عليها رسم الأفعى أو رمزها، وذلك من خلال دراسة كيروم.

المبحث الثاني: دلالات رمز الأفعى ومعانيها على الأختام الدلمونية وربطها مع ما شابهها من دلالات وممارسات في الحضارات الأخرى المختلفة.

المبحث الأول

المطلب الأول:

الجدير بالذكر أن أول من وضع نظاماً لتصنيف الثعابين هو العالم السويدي كارل فون لين[٩]، وبما أن موضوعنا يرتبط بالثعابين في منطقة من مناطق شبه الجزيرة العربية وهي دولة الكويت، فبشكل عام تحتوي الجزيرة العربية تحتوي على نحو ٥٥ نوعاً من الثعابين المختلفة، منها السام القاتل ومنها غير السام الذي لا يؤثر على حياة الإنسان، وربما هذا التقسيم الطبيعي للثعابين إلى نوع سام وآخر غير سام، قد أثر في فكر البشر ومعتقداتهم؛ حيث اعتبر الإنسان أن الثعابين السامة تمثل رمز الشر والخراب، والثعابين غير

(٩) بدوي، كامل محمد. (١٩٩٧). عالم الثعابين. مكة المكرمة: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف. ص ٣٤٧.

السامة تمثل رمز الخير والخصوبة والطب والشفاء (انظر المبحث الثاني). والثعابين تنقسم قسمين: قسم يعيش على اليابسة وهي الثعابين البرية، وقسم يعيش في البحار وهي الثعابين البحرية، ونقصد هنا (الخليج العربي وخليج عمان على وجه الخصوص). وقد أحصيت هذه الثعابين على النحو الآتي:

الثعابين البرية تتضمن أنواعاً مختلفة، تشمل ٤٦ نوعاً، والثعابين البحرية تشمل ٩ أنواع.

وقد بلغ عدد الثعابين السامة نحو ٢٣ نوعاً، وهو يعادل ما يقارب ٤٠٪ من الثعابين في الجزيرة العربية. والملاحظة المهمة هنا، أن كل ثعابين الخليج العربي وخليج عمان خطيرة وسامة. وربما للبيئة التي تعيش فيها هذه الثعابين دور في قوة السم وتركيبته(١٠).

والحياة البيئية في أرض الكويت تشابه كثيرا ما حولها من حياة بيئية في سائر منطقة شبه الجزيرة العربية وخاصة الدول الواقعة في شرق شبه الجزيرة العربية (دول الخليج العربي) وشمال الجزيرة العربية كجمهورية العراق (جنوب العراق بالتحديد). بمعنى أن الحيوانات والزواحف والطيور...إلخ في معظم هذه المناطق متشابهة بدرجة كبيرة، وكما سبق ذكره فإن الثعابين كثيرة ومتنوعة، ولا يمكن في هذا البحث تغطيتها بشكل كامل ومفصل. ولذلك سيكتفى بتناول بعضها فيما يأتي:

بعض الثعابين غير السامة في بيئة الكويت ومنطقة شبه الجزيرة العربية:

أولاً – في الكويت:

أفعى الفئران (انظر الشكل ١): تعيش في المناطق الصخرية وداخل البيوت

(١٠) السعدون، محمد؛ الفراج، سعود. (١٩٩٢). الثعابين السامة في المملكة العربية السعودية: أنواعها، أماكن وجودها، والوقاية من سمومها. الرياض: حقوق الطبع للمؤلفين. ص٢٠.

القديمة المهجورة. وهي طويلة ونحيلة، يراوح طولها ما بين ٧٠ و ٩٠ سم، وعلى رأسها بقع داكنة، ورأسها مميز وعيونها واسعة تقتات على السحالي والثدييات(١١).

الأفعى ورقية الأنف (انظر الشكل ٢): وهي أفعى قصيرة يراوح طولها ما بين ٣٠-٤٠سم، ورأسها كبير مميز، وذيلها غير مميز عن الجسم، يكثر وجودها في المناطق الرملية وتطلق فحيحاً عالياً عندما تشعر بخطر ما نحوها، لونها أصفر يميل للسمرة، ذات بقع بنية على الرأس والظهر(١٢).

الأفعى العمياء (انظر الشكل ٣): وهي أفعى قصيرة جداً يراوح طولها ما بين ١٢ و ١٧سم، وجسمها مغطى بحراشف فضية رمادية لماعه، وفمها صغير تقتات على النمل والديدان واليرقات. وهي غير مؤذية للإنسان(١٣).

أفعى بوا الرمل (انظر الشكل ٤): وتسمى محلياً "بالدساس"؛ وذلك لأنها تدفن نفسها تحت الرمل. يبلغ طولها نحو ٥٠ سم، والجسم تغطيه حراشف لامعة. والظهر ذو أشرطة معترضة بنية(١٤)، وتعتبر هذه الأفعى الوحيدة من عائلة البوا التي تعيش في أرض الكويت(١٥).

---

(١١) Yildiz, Mehmet Z. (2011). Distribution and morphology of Platycepsventromaculatus (Gray,1834) (Serpentes: Colubridae) in south-eastern Anatolia, Turke. North-Western Journal of Zoology 7 (2). p 291-296.

(١٢) Jablonski, D., Frynta, D., and Del Marmolmarin, Gabriel M. (2014). New records of the Awl-headed Snake (Lytorhynchusdiadema) from northeastern Morocco. Herpetology Notes 7. p 295-297.

(١٣) الفارس، أسعد. (٢٠١٤). دليل تصنيف الأفاعي الصحراوية ذات االقرون في البيئة الكويتية. الكويت: معهد الأبحاث العلمية. ص٢١.

(١٤) Habeeb, Israa N. and Pouyani, Nasrullah R. (2016). Geographical distribution of the snakes of Iraq.Mesopotamia Environmental Journal Vol.2. (3).p 67-77.

(١٥) أسعد الفارس، مرجع سابق، ص٢١.

ثانياً – منطقة شبه الجزيرة العربية:

أما باقي الثعابين أو الأفاعي غير السامة في مختلف أجزاء منطقة شبه الجزيرة العربية فهي كثيرة، ونذكر منها – على سبيل المثال –: الثعبان الأرقم(١٦)، الذي يصل طوله إلى نحو ١,٥ متر، وهو طويل وضخم، ذو رأس مثلث، ليس له أنياب وإنما يوجد في فكه بعض الأسنان التي تنتج ألماً عند العض (انظر الشكل ٥).

يمتاز بلون رملي، ذو بقع بنية داكنة على ظهره، أما لون البطن فهو رملي مصفر(١٧)، يكثر وسط الجزيرة العربية وشرقها.

الثعبان الصخري (انظر الشكل ٦): ويصل طوله إلى نحو ١٢ سم، كبير الحجم، وجسمه أسطواني، ذو رأس مثلث ولونه من الخارج أحمر يميل إلى الوردي، أما من ناحية البطن فلونه أبيض. ينتشر في وسط الجزيرة العربية وشرقها(١٨).

الثعبان الدفان: يصل طوله إلى نحو ½ متر، وهو صغير ممتلئ الجسم، لونه الخارجي يميل إلى الصفرة، ذو خطوط بنية، أما البطن فلونه أبيض. الرأس صغير متناسق مع الجسم، والعينان صغيرتان، ليس له أنياب، ينتشر تقريباً في أغلب أجزاء الجزيرة العربية(١٩).

---

(١٦) تم مؤخراً إنتاج هذا الثعبان في حديقة الحيوان في دولة الكويت. انظر: الخالد، مشاري. (٢٠١٣). إنتاج ثعبان الأرقم. الكويت: مجلة زواحف الكويت ٦. ص ٤٢.

(١٧) Baig, Khalid J. and Masroor, R. (2008). The snakes of the genus Spalerosophis JAN, 1865 in Indo -Pakistan and Iran. (Squamata: Serpentes: Colubridae). Herpetozoa 20. (3/4), p 109.

(١٨) Khan, Muhammed S. (1997). Taxonomic notes on pakistani snakes of the coluber karelinir-hodorachis ventromaculatus species complex: a new approach to the problem. Asiatic Herpetological Research 7. p 51-60.

(١٩) Londie, T. (2015). Arabian sand boa Eryxjayakari (Squamata: Boidae) preying on Arabian toad-headed agama Phrynocephalus arabicu (Squamata: Agamidae): a nocturnal-to-diurnal species interaction. Herpetology Notes 8, 155-156.

الثعابين أو الأفاعي السامة في بيئة الكويت ومنطقة شبه الجزيرة العربية:

أولاً – الكويت:

ثعبان أبو السيور الشجري (انظر الشكل ٧): طوله يراوح ما بين ٧٠ و ٩٠ سم ولونه بني، زيتي إلى رمادي، رأسه طويل وذيله طويل أيضاً وانسيابي، على جانب جسمه توجد خطوط صفراء مع خط أسود، وتمتد هذه الخطوط من الأنف على طول جانبيه؛ ولذلك سمي بهذا الاسم. الأسنان تبدأ صغيرة وتكبر بالتدريج كلما اتجها إلى داخل الفم(٢٠).

الكوبرا العربية (انظر الشكل ٨): وهي أفعى طويلة يراوح طولها ما بين ١٢٠ و ١٥٠سم(٢١)، ذات لون بني أو أخضر من الخارج، أما البطن فهو أصفر. الرأس والعنق كبيران والعينان أيضاً والجسم أسطواني ذو حراشف ناعمة لها زوج أنياب كبيرة في الفك العلوي وأسنان طويلة في الفك السفلي(٢٢).

الكوبرا الكاذبة أبو العيون: يراوح طولها بين ٧٠ و ٨٠ سم، وجسمها مغطى بحراشف كبيرة، لونها بشكل عام بني رمادي يميل إلى البرتقالي، الجسم أسطواني، ورأسها يكاد يكون متساويا مع الجسم لها نابان طويلان في الفك العلوي(٢٣).

الأفعى الصحراوية السوداء "الصل الأسود": كما هو اسمها، لونها أسود

---

(٢٠) Marx, I. (1986). The colubrid snake, psammophisschkari, from the Arabian Peninsula. Fieldiana Zool. New Series. 40 (1383): 1-16.

(٢١) أسعد الفارس، مرجع سابق، ص٢٢.

(٢٢) Mahaba, Hisham M. (2000). Snakebite: epidemiology, prevention, clinical presentation and management. Annal of Saudi Medicine. Vol. 20. No. 1, p 66-68.

(٢٣) Masood, Mostafa F. (2012). Ecological distribution of snakes fauna of Jazan region of Saudi Arabia. Egyptian Academic Journal of Biological Sciences 4 (1). p 183-197.

من الخارج أما من ناحية البطن فلونه ترابي. يراوح طولها ما بين ٩٠ و١٠٠سم، وقد يصل إلى ١,٤متر. لها جسم أسطواني طويل أكثر من متر، وذنب قصير دقيق، ورأس أعرض من الجسم، وعينان صغيرتان، وحراشفها الأمامية ناعمة، أما الحراشف التي عند الذنب فخشنة، ولها نابان أماميان(٢٤). أهم ما يميزها مقدرتها على نفخ رقبتها عند رفع الجزء الأمامي من الجسم. تسمى في بعض الكتب أحياناً بالكوبرا المصرية(٢٥).

الأفعى المقرنة (انظر الشكل ٩): سميت بهذا الاسم؛ لأن لها قرنين صغيرين، وتسمى محلياً باسم "أم جنيب"؛ وذلك لأن حركتها تكون بشكل جانبي، ومن سمات الشكل العام أن لها رأساً مثلثاً عريضاً وعينين صغيرتين، وجسمها غليظ، وذيلها دقيق وقصير، ولونها عادة يميل إلى الرمادي المحمر، وتكثر هذه الأفعى في المناطق الرملية، توجد في غالب مناطق الجزيرة العربية وتنتشر في أقصى جنوبها(٢٦). هذه الأفعى ربما تأثر بشكلها المجتمعات القديمة مثل بلاد الرافدين ومجتمع جزيرة فيلكا؛ ولذلك ظهر االتأثير في رسوماتهم ونقوشهم المختلفة التي منها – على سبيل المثال – الأختام (انظر المطلب الثاني).

ثانياً – شبه الجزيرة العربية:

الأفعى النفاثة: يطلق عليها أيضاً اسم الأفعى النوامة؛ حيث إنها تنام بعض الأحيان في البرك والمستنقعات، وتسمى هذه الأفعى بالنفاثة؛ لأنها إذا نفثت الهواء الذي في جوفها إلى الخارج تصدر صوتاً عالياً. وهذه الأفعى لها رأس

(٢٤) Nilson, G. and Rastegar-Pouyani, N. (2007). Walterinnesiaaegyptialataste, 1889(ophidian: Elapidae) and the status of Najamorganimocquard 1905. Russian Journal of herpetology. Vol. 14 No.1, p 7-14.

(٢٥) أسعد الفارس، مرجع سابق، ص٢٢.

(٢٦) Wagner, P and Thomas, M Wilms. (2010). A crowned devil: new species of CerastesLaurenti, 1768 (Ophidia, Viperidae) from Tunisia, with two nomenclatural comments. Bonn Zoological Bulletin 57. (2), p 297-306.

عريض مغطى بحراشف، وجسم ضخم أسطواني وحجم العينين متوسط، وعنقها دقيق، وذيلها قصير، ولونها رمادي ذو دوائر سوداء. توجد في الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها الغربي(٢٧).

أفعى الطفى المنشارية (انظر الشكل ١٠): تسمى محلياً أيضاً الرقطاء(٢٨). والرقطاء باللغة العربية هي التي تحتوي على ألوان سوداء وبيضاء. هذه الأفعى لها رأس مثلث مغطى بحراشف، ومقدمة فقيرة بارزة، وجسم أسطواني، وذيل قصير. وحجم العينين متوسط، لونها يميل إلى الحمرة وعليه بعض الخطوط السوداء والبيضاء(٢٩). تنتشر في شرق وسط الجزيرة العربية وغربها(٣٠)، سميت بهذا الاسم لأنها تحمل بقعاً شبيهة بأشكال هندسية.

أفعى السجاد الشرقي (انظر الشكل ١١): سميت بهذا الاسم؛ لأن لها أشكالاً هندسية تشبه تلك الموجودة على السجاد الشرقي، تتميز هذه الأفعى بأن على رأسها شكلاً يشبه الصليب. وهي صغيرة الحجم ذات جسم غليظ، ولها نابان متحركان في الفك العلوي، وذيلها قصير، ولونها بني محمر، وتوجد في غرب الجزيرة العربية وشرقها وجنوبها(٣١).

---

(٢٧) Al-Jammaz, Ibrahim A. (2001).Effects of single doses of Bitisarietans crude venom on serum biochemical parameters in rats. Scientific Journal of King Faisal University (Basic and Applied Sciences) 2. (1), 103-112

(٢٨) السعدون والفراج، مرجع سابق، ص٢٨.

(٢٩) Babocasy, G. (2004). A new species of saw-scaled viper of the Echiscoloratus complex (Ophidia: Viperidae) from Oman, Eastern Arabia. Systematics and Biodiversity 1(4), p 504.

(٣٠) Babocasy, G. (2001). Sexual differences in geographic variation of some morphological characters in Echiscoloratus (VIPERIDAE, OPHIDIA). In: Lymberakis, P. et al., Eds., HerpetologiaCandiana, p 39-42.

(٣١) Arnold, N., Robinson, Michael D. and Carranza, S. (2009). A preliminary analysis of phylogenetic relationships and biogeography of the dangerously venomous Carpet Vipers, Echis (Squamata, Serpentes, Viperidae) based on mitochondrial DNA sequences. Amphibia-Reptilia 30, 273-282.

الثعبان الأسود: لون هذا الثعبان أسود لامع، ورأسه يكاد يكون متساوياً مع جسمه مع نهاية مثلث للرأس، وجسم أسطواني يصل طوله إلى ٨٠ سم. العينيان صغيرتان، والذيل قصير، والفك العلوي يحتوي على أنياب إبرية، توجد في الجنوب الغربي للجزيرة العربية وساحلها الغربي ووسطها(٣٢).

أما الأفاعي البحرية التي توجد على سواحل دولة الكويت فهي نفسها التي تنتشر في سائر بحر الخليج العربي، ويوجد منها نحو ٩ أنواع(٣٣). ونذكر منها على سبيل المثال، ثعبان البحر ذا الثنية وذا الحلقات وثعبان البحر أصفر البطن.

ثعبان البحر ذو الثنية (انظر الشكل ١٢): هذا الثعبان يبلغ طول الذكر منه نحو ٩٥ سم والأنثى نحو ٨٦ سم. الجسم قوي، وذو رأس كبير؛ حيث يحتوي الفك العلوي على نابين صغيرين، وخلف هذين النابين مساحة خالية، ثم عدد من الأسنان يبلغ عددها نحو ١٠-١٢ سناً، لونه الخارجي ما بين الرمادي الفاتح والزيتي وأبيض أحياناً ذو دوائر يبلغ عددها نحو ٥٠ دائرة، ولون الثعبان من أسفل البطن أصفر أو أبيض(٣٤).

ثعبان البحر ذو الحلقات (انظر الشكل ١٣): هذا الثعبان يختلف طول الذكر منه عن الأنثى بشكل لافت للنظر؛ فالذكر يبلغ طوله نحو ١٥٠سم أما الأنثى فطولها نحو ١٨٠سم، الجسم طويل، والرأس صغير يتناسق مع الجسم ولا يكاد

(٣٢) Terrat, Y. et al. (2013). Atractaspis aterrima Toxins: The First Insight into the Molecular Evolution of Venom in Side-Stabbers. Toxins 5, p 1948.

(٣٣) Soorae, P., Alquaroaz, M. and Grander, Andrew S. (2010). An overview and checklist of the native and alien Herpetofauna of the United Arab Emirates. Herpetological Conservation and Biology 5 (3), 529-536.

(٣٤) Kidera, N. et al. (2014). Notes on the occurrence and habitat of hydrophisornatus (Gray 1842) (Reptilia: Squamata: Elapidae) in the Ryukyu Island, Japan. Fauna Ryukyuna20. p 7-13.

يميز عنه، وله نابان صغيران في الفك العلوي، ولونه رمادي ذو دوائر سوداء[٣٥].

ثعبان البحر أصفر البطن (انظر الشكل ١٤): والأنثى في هذا النوع أطول من الذكر؛ حيث يبلغ طولها نحو ٨٨ سم، أما الذكر فيبلغ طوله نحو ٧٢ سم. الرأس متناسق مع الجسم ولا يكاد يميز عنه، يحتوي على نابين صغيرين جداً في الفك العلوي، لونه أصفر ذو خط أسود على الظهر ونقاط سوداء عند الذيل. وباستطاعة هذا الثعبان أن يعيش بعيداً عن الشواطئ[٣٦].

المطلب الثاني

في المطلب السابق تعرفنا بعض أنواع الأفاعي ومكان وجودها في دولة الكويت ومنطقة شبه الجزيرة العربية، وأرض الكويت تزخر بالعديد من المواقع الأثرية المتنوعة، التي تعود إلى حقب تاريخية مختلفة غائرة في التاريخ ومرتبطة بما حولها من حضارات. ومن أهم المناطق التي توجد فيها المواقع الأثرية في أرض الكويت هي جزيرة فيلكا[٣٧] (انظر الخريطتين ١–٢) واعتمدنا

(٣٥) Rasmussen, Arne R., Elmberg, J., Gravlund, P. and Ineich, I. (2011). Sea snakes (serpents: subfamilies Hydrophiinae and Laticaudinae) inVietnam: a comprehensive checklist and an updated identification key. Zootaxa 2894. p 1-20.

(٣٦) Bangsgaard, P. et al. (2012). Qatar islamic archaeology and heritage project: end of season report; environmental studies2011-2012.Qatar: University of Copenhagen and Qatar Museums Authority. p 70.

(٣٧) جزيرة فيلكا من جزر دولة الكويت، تقع خارج جون الكويت، وتبعد نحو ١٩ كم من سواحل الكويت. انظر: المطيري، حامد. (٢٠١٠). الآثار الإسلامية في قرية سعيدة وقلعة الزور في جزيرة فيلكا: دراسة أثرية مقارنة. رسالة ماجستير (غير منشورة): كلية السياحة والآثار. جامعة الملك سعود. ص١٢.
ويبلغ طول هذه الجزيرة نحو ٢٠كم وعرضها ٦ كم. انظر: الفيلكاوي، جاسم. (٢٠٠٠). ذكرياتي في جزيرة فيلكا. الكويت: مطبعة الكويت.

في هذا المطلب على دراسة قدمها بول كيروم سنة ١٩٨٣، وتناول فيها الأختام الدلمونية في مواقع F3,F5,F6، وقام بترتيبها ووصفها وتصنيفها. ومن خلال هذه الدراسة قمت بتحديد الأختام التي تحمل تصوير الأفعى وحصرها ومن ثم تصنيفها على أساس المكان، ولم أعطها أرقاماً جديدة في هذا البحث إنما حافظت على أرقامها الأصلية في دراسة كيروم؛ وذلك للرجوع إليها بسهولة متى احتجنا إلى ذلك. ونتج عن هذا العمل أربع مجموعات، وهي: F3, F6, F5 والمجموعة االرابعة مجهولة المكان. وقد تم التعليق بجانب الأختام لتحديد مكان وجود الأفعى في الختم دون الاهتمام الكبير بباقي التفاصيل والرموز؛ لأن موضوع بحثنا هذا يهتم برمز الأفعى ويركز على هذا الرمز فقط، والاهتمام والتعليق على باقي الرموز ربما يأخذ وقتاً وجهداً كبيرين يتمثلان في مئات من البحوث لتحصر عدد هذه الرموز وتناقشها بشكل كامل.

المجموعة الأولى F3

هذا الختم يحتوي على وردة دائرية في المنتصف، ينبثق منها خطوط على الجانبين الأيمن والأيسر منها، على فوقها قرون متقاطعة بشكل حلزوني. والخطوط محاطة بأغصان من الجهة اليسرى وربما ثعابين من الجهة اليمنى، وفي الأعلى يوجد طير وسمكة. وهذه الثعابين تشبه أفعى ورقية الأنف.

17

هذا الختم يصور رجلاً عارياً يقف داخل شكل مستطيل، وفوقه هلال في وسطه شمس، وتحت هذا المستطيل مربع شبكي، وأمام الرجل فرع شجرة، وفي جانبي المستطيل رجلان جالسان على كرسي، كل منهما يحمل ثعباناً له رأس ذات قرون. ولربما يدل هذا المستطيل في الوسط على هيكل أو مذبح أو معبد. والأفعى هنا تشبه الأفعى المقرنة.

54

77

هذا الختم يصفه كيروم في النسخة الإنجليزية من كتابه بأن الجانب الأيمن فيه رجل عار شبه راكع، وفي الجانب الأيمن السفلي يوجد ثعبان.

81

هذا الختم يصور إلهين متقابلين يلبسان تاجاً ذا قرون، ويمسكان بقدم الغزال الذي أمامهما والغزال يقف على منصة شبكية عليها علامة X. الإله الأول يجلس على كرسي أما الثاني فكأنه يجلس على ثعبان يظهر من ورائه.

122

يظهر اثنان: الرجل الثور متقابلين يمسكان بثعبان برأس ذي قرون، والرجل على الجهة اليسرى له ذيل منحنٍ للأعلى. ويوجد ظبيان منتصبان يتجهان للخارج على جانبي الختم. وأسفل الثعبان يوجد ثور آخر. الثعبان هنا يشبه الأفعى المقرنة.
ويوجد جرتان في الحقل المجاور؛ واحدة أمام الرجل الثور والأخرى خلفه من جهة اليسار.

131

يوجد الثعبان على يمين الختم خلف رجل جالس وكأنه يجلس على الثعبان. ويشبه الثعبان أيضاً الأفعى المقرنة.

133

الثعبان يوجد في هذا الختم في الجهة اليسرى وهو يشبه الأفعى المقرنة.

134

الثعبان في هذا الختم يوجد خلف الرجل الجالس على اليسار، وهو يشبه كذلك الأفعى المقرنة.

143

في وسط هذا الختم راية فوق منصة ذات خطوط أفقية، وأعلى هذه الراية يوجد هلال، وهناك رجلان متقابلان على جانبي الراية يقف خلف كل منهما ثعبان. والثعبان هنا يشبه الصل الأسود أو الثعبان النقاف، الذي يكون رأسه أكبر من جسمه.

144

يقف في هذا الختم رجلان، ربما على هيئة الرجل الثور أمام سارية ذات هلال قاعدتها منصبة شبكية. وعلى الجهة اليسرى يوجد ثعبان ذو قرون، وهو يشبه الأفعى المقرنة.

145

هذا الختم فيه منصة هلالية على ظهر ثور، ويوجد أمام هذا الثور ثعبان مقرن. ويشبه الأفعى المقرنة.

156

يظهر في هذا الختم رجلان يقفان فوق منصة، تنتهي بمقدمة ظبيين، وبينهما شجرة يمسكان بها ويحيط بالختم من جهة اليمين ثعبان مقرن ويشبه الثعبان هنا الأفعى المقرنة.

173

الجانب الأيسر من هذا الختم مدمر، ولكن يظهر فيه رجل جالس بجانب منصة شبكية على ظهر غزال. وفي أعلى الختم يوجد ثعبان. وهو يشبه الثعبان الأسود الذي يتساوى رأسه مع مستوى جسمه.

175

في هذا الختم يظهر رجل عار يشرب من أنبوبة متصلة بجرة وأمامه ثعبانان ملتويان.

176

في هذا الختم رجلان متقابلان يشربان من أنبوبة متصلة بجرة وفي أسفل الجرة يوجد شكل ثعبان. وهنا ربما يشبه هذا الشكل الثعبان الأسود.

222

الجزء الأسفل من الختم مفقود يظهر من المشهد رأس ورقبة وقوس وظهر ثور أو ثعبان!

232

يصور هذا الختم رجلاً يركض ويداه ممدودتان باتجاه ثعبان. وهنا الثعبان يشبه الأفعى المقرنة.

233

في هذ الختم رجل ممسك بقرون ثور ورجل آخر يمسك بذيل ثعبان.

245

يصور الختم رجلاً وثلاثة ثيران، وأمام هذه الثيران ثعبان ذو قرون. وهو يشبه الأفعى المقرنة.

246

وهذا الختم يصور رجلاً عارياً يمسك بذيل ثور بين ثلاثة ثيران، الواحد فوق الآخر، ويوجد أمام الثيران ثعبان فمه مفتوح، وهو يشبه الأفعى المقرنة.

259

يوجد في هذا الختم ثعبان ذو قرون في الجانب الأيمن العلوي تحت الهلال، وهو يشبه الأفعى المقرنة.

272

هذا الختم يوجد فيه رجل مجنح يحمل ثعباناً ذا قرون. وهو يشبه الأفعى المقرنة.

273

هذا الختم يصور اثنين من الثيران متقابلان ويمسكان بأرجل ومؤخرة غزال، تحته ثعبان ذو قرون. وهو يشبه الأفعى المقرنة.

302

يظهر في هذا الختم رجل جالس يرفع إحدى يديه بالقرب من وجهه والأخرى يمسك بها عصا وخلف هذا الرجل الجالس فرع شجرة وثعبان وأمامه رجل واقف. والثعبان هنا يشبه الصل الأسود.

304

من ضمن تفاصيل هذا الختم يوجد مستطيل في الوسط داخله رجلان وفوق زاويتي هذا المستطيل العلويتين يوجد ثعبان. وهو يشبه الثعبان الأسود الذي يتناسق جسمه مع رأسه بشكل متساو.

320

يظهر في هذا الختم الثعبان تحت الهلال. وهو يشبه الثعبان الأسود.

336

الجزء الأيمن من الختم مدمر ويوجد ثعبان في أعلى الختم. وهو يشبه الثعبان الأسود.

82

المجموعة الثانية F6
في هذا الختم تظهر الثعابين في الوسط ملتفة بعضها على بعض.

87

يظهر الثعبان في هذا الختم خلف الرجل الواقف من جهة اليمين. وهو يشبه الأفعى المقرنة.

92

لاحظ الثعبان في هذا الختم خلف الرجل الواقف على الجهة اليسرى من الختم. وهو يشبه الثعبان الأسود.

105

يظهر في الختم مقدمة غزال وثعبان قائم يقف كلاهما على خط أفقي. والثعبان هنا يشبه ثعبان الصل الأسود.

115

يظهر في هذا الختم رجلان في هيئة الرجل الثور وبينهما قرص الشمس وراية هلالية وخلف كل واحد منهما ثعبان ذو قرون على الجانب الأيمن والأيسر من الختم. وهما يشبهان الأفعى المقرنة.

135

يظهر ثعبان ذو قرون على الجانب الأيسر من الختم ورأس الثعبان يتجه إلى الأسفل. وهو يشبه الأفعى المقرنة.

138

يظهر على الجانب الأيمن من هذا الختم ربما قرد يحمل ثعبانين ملتفاً أحدهما على الآخر.

141

يظهر الثعبان هنا في أسفل الختم. وهو يشبه الثعبان الأسود.

159

يوجد نخلة في وسط هذا الختم وعلى يمينها ويسارها يوجد ثعبان منتصب. وربما يشبه ثعبان الصل الأسود.

164

جزء من الختم مفقود ويوجد ثعبان أسفل الختم. وهو يشبه الثعبان الأسود.

165

يوجد الثعبان في أسفل الختم تحت المائدة التي في الوسط. وهو يشبه الثعبان الأسود.

179

يظهر رجلان في هذا الختم. الرجل الذي على الجهة اليسرى يحمل بيده ثعبان. وهو يشبه الأفعى المقرنة.

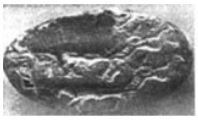

238

يوجد ثوران أحدهما فوق الآخر وخلفهما رجل وفي الأمام ثعبان، يشبه الأفعى المقرنة.

273

يظهر الثعبان في هذا الختم في الجزء الأسفل. وهو يشبه الأفعى المقرنة.

303

303

يظهر في الختم رجلان واقفين وخلف كل منهما ثعبان منتصب. ويشبهان الصل الأسود.

313

يظهر في منظر الختم رجل راكع وأمامه ثعبان. بحسب ما وصفه كيروم في النسخة الإنجليزية، ولكن التسجيد المحتمل للثعبان هو في مواجهة الوجه للشكل البشري. وهو يشبه الصل الأسود.

137

المجموعة الثالثة F5
يظهر في هذا الختم الرجل الذي في جهة اليسار يمسك بثعبان يشبه الأفعى المقرنة.

147

يوجد الثعبان أمام الثور في الجزء الأيمن من الختم، وهو يشبه الأفعى المقرنة.

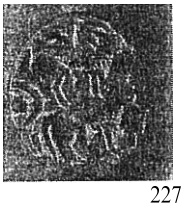

227

يظهر على الختم ظبي فوقه طير وتحته ثور وفي الأمام ثعبان ذو قرون وإلى اليسار نجمة داخل هلال بين نقطتين. والثعبان يشبه الأفعى المقرنة.

206

المجموعة الرابعة F?
الموقع غير معروف.
يظهر في هذا الختم الرجل بجهة اليسار يمسك بثعبان يشبه الصل الأسود.

276

يوجد على الجانب الأيمن من هذا الختم ثعبان. يشبه الثعبان الأسود.

لاحظنا من خلال ما سبق من استعراضنا للأختام الدلمونية في جزيرة فيلكا وتصنيفها بحسب المكان، فإن أغلب الأختام التي وجد عليها تصوير الأفعى وجدت في موقع F3، وقد بلغ عددها ٣١ ختماً من إجمالي ٥٢ ختماً، وهذا لربما يدل على قدسية هذا الموقع أكثر من غيره؛ حيث تمارس عبادة الأفعى أو تقديم الأفعى كقربان في هذا الموقع.

المبحث الثاني

الدلالات الرمزية للأفعى:

قبل مناقشة الدلالات الرمزية لتصوير الأفعى على الأختام الدلمونية، يجدر بنا أن نتعرف أولاً معنى الرمز؛ فما الرمز؟ ولماذا يستخدم الناس الرمز؟.

الرمز في اللغة العربية: علامة تدل على معنى له وجود قائم بذاته فتمثله وتحل محله(٣٨).

الرمز في اللغة الإنجليزية تقابله كلمة Symbol(٣٩).

والرمز اصطلاحاً علامة يتفق عليها للدلالة على شيء أو فكرة ما(٤٠). كذلك هو شكل يشير إلى مدلول بعلاقة غير مباشرة(٤١)، ويفسر الفيلسوف الألماني Kant الرمز على أنه تعبير عن فكرة عقلية أو ذهنية تتعلق بالعقل وإدراكه ذهنياً ووظيفياً وأنه يرتبط بصورة أساسية وجوهرية بعملية الإدراك(٤٢)، ومن وجهة نظر هربرت ريد يعتبر الرمز إشارة مصطنعة، معناها متفق عليه وهو معنى لا ينبغي لنا أن نعرفه إلا إذا عرفنا أنه قد اتفق عليه(٤٣).

ويستخدم الناس الرمز عادة لمعتقدات دينية أو لقيمة جمالية أو للتعبير عما في داخلهم من شعور سواء كان ذلك الشعور يعبر عن الحب أو عن الخوف أو

---

(٣٨) مادة رمز: قاموس المعاني.

(٣٩) بعلبكي، روحي. (١٩٩١). المورد. لبنان: دار العلم للملايين. ص٥٩٥

(٤٠) بارو، أندريه. (١٩٧٩). سومر فنونها وحضارتها. ترجمة عيسى سلمان وطه التكريتي: بغداد، وزارة الثقافة والإعلام. ص٨٠.

(٤١) البهنسي، عفيف. (١٩٨١). معجم مصطلحات الفنون. بيروت: دار الرائد العربي. ص٥٥.

(٤٢) باقر، طه.(٢٠٠٩). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. لندن: دار الوراق للنشر. ص ٢٥-٣٠.

(٤٣) بقاعين، حنا. (٢٠٠٣). معجم العمارة، ج١. بغداد: المجمع العلمي العراقي. ص ١٠٣.

عن أي شعور آخر. فعلى سبيل المثال قد يكون الرمز شكلاً لحيوان يعبده الناس أو يخافون منه، أو شكلاً لنبات أو طير.. إلخ، وربما من هنا نشأت فكرة الطوطمية(٤٤). وقد يكون الرمز أيضاً على هيئة أشكال هندسية وخطوط ودوائر، وربما يتخذ الرمز لوناً معيناً يعبر عن مناسبة معينة، فعلى سبيل المثال، اللون الأسود يرتبط بالحزن والأسى على شخص ما أو حدث معين؛ حيث يلبس الناس الملابس ذات الألوان السوداء في العزاء عند بعض المجتمعات الأوروبية والعربية إن لم يكن معظمها، وهذا الأمر لا ينطبق بالضرورة على بقية المجتمعات الأخرى في العالم، حيث إنه ليس هناك إلزام على أن يكون اللون الأسود هو لون الحزن في عموم المجتمعات، ولذلك نجد في ثقافة المجتمع الصيني مثلاً، أن اللون الأبيض هو الذي يعبر عن الحداد والحزن(٤٥)!.

من هنا لابد أن نعي وندرك أن من يحدد قيمة الرمز ومعناه ودلالته هو أفراد المجتمع ذاته، إذ إن لكل مجتمع ثقافة ولكل ثقافة مجموعة من الرموز التي لها معان ودلالات اتفق عليها أفراده وأقروها، وتداولها الناس من جيل إلى جيل وانتقلت من زمن إلى زمن آخر، ولذلك يقول "بيرس": إن الارتباط بين الرمز والشيء الذي يدل عليه هو ارتباط عرفي(٤٦).

إذن ما قد يكون رمزاً للخير في مجتمع ما، قد يكون رمزاً للشر في مجتمع آخر، وما قد يكون رمزاً للسعادة في مجتمع معين، قد يكون رمزاً للحزن في مجتمع آخر.

---

(٤٤) هي ديانة يتخذ أفرادها حيواناً أو نباتاً أو أي شيء آخر إلهاً مقدساً، ويشترك كل هؤلاء الأفراد في عبادته. انظر: حميد، فوزي محمد. (٢٠٠٢). عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة. دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية. ص ص ١٣٠-١٣٤.

(٤٥) قانصو، أكرم. (١٩٩٥). التصوير الشعبي. عالم المعرفة ٢٠٣، ص ص ٨٥-٨٦.

(٤٦) البازعي، سعد. (٢٠٠٠). دليل الناقد الأدبي. ط٢. بيروت: المركز الثقافي العربي. ص ١٠٨.

ولهذا فإن الرمز ما يتفق عليه أفراد المجتمع بأنه يدل على شيء معين أو بديل لشيء آخر، ولا قيمة له دون هذا الاتفاق من قبل المجتمع.

إن الرموز التي استخدمها الإنسان على مر تاريخه كثيرة جداً، اختلفت وتنوعت بأشكالها وألوانها وأنواعها، ولعل الإنسان قديماً من خلال ملاحظاته ومراقبته للطبيعة وما فيها من حيوانات كبيرة وزواحف وطيور وظواهر كونية، رسخت في ذهنه الأفعى، وربما جاء هذا باعتبارها حيواناً زاحفاً ليس له يدان أو قدمان لكنه قوي جداً في لدغته ومميت في سمه، وسريع في اختفائه، ويكون نفسه بحسب البيئة التي يعيش فيها، وله القدرة على تبديل جلده، وهذا ربما جعل منه حيواناً مخلداً ومقدساً؛ حيث اعتقد الناس أن تبديل جلده هو علامة اكتسابه صفة الخلود ويتجدد شبابه دائماً، كما سنرى في أساطير بعض الحضارات لاحقاً.

والباحث في آثار الشرق الأدنى القديم، يجد الكثير من تصاوير الشمس والقمر والأشجار والحيوانات التي رسمت ونقشت على الأحجار والأختام والمسلات، وهذه التصاوير كانت تشغل حيزاً كبيراً في أذهان الناس ومعتقداتهم آنذاك، ومن الطبيعي بسبب الموقع الجغرافي أن علاقة شرق شبه الجزيرة العربية ببلاد الرافدين والجهة المقابلة لها من الخليج العربي (إيران) كانت علاقة وثيقة ومتأثرة بعضها ببعض في مجالات عدة، سواء كان في المجال الاقتصادي أو الاجتماعي أو الديني أو السياسي... إلخ[٤٧]. فأي مجال من هذه المجالات يسود في بلاد الرافدين أو إيران فإنه بالتأكيد سوف يؤثر في سائر المناطق الأخرى لأنها بلاد قريبة من بعضها وتقع في إقليم واحد، والشواهد الأثرية الحضارية على ذلك كثيرة وما زالت موجودة في منطقة الخليج العربي

(٤٧) الدويش، سلطان. مرجع سابق. ص ٢٧٢-٢٧٣. انظر كذلك: العزب، محمد. (١٩٨٩). صفحات من تاريخ البحرين. ج١. الكويت: مطبعة الحكومة. ص٨٢. وكذلك: الهاشمي، رضا جواد. (١٩٨٤). آثار الخليج العربي والجزيرة العربية. جامعة بغداد: كلية الآداب. ص ص١٤٩-١٥٠.

وخاصة منطقة شرق شبه الجزيرة العربية*، فعلى سبيل المثال إذا نظرنا إلى الجانب العقائدي نجد أن الفكر الديني الذي ساد في بلاد الرافدين، كان له أثر كبير جداً في منطقة شرق شبه الجزيرة العربية، ولذلك فإن آلهة حضارة دلمون هي نفسها آلهة سومر أو أبناء آلهة سومر، مثل الإله أنكي، آنو، إينانا، إنشاك، ننحرساك، نفسارا، إنليل، ننتي، سيدوري، سينارا، لخاموم، تنسيكيلا وسورسونابي(٤٨). وكذلك تأثرت بالنصوص والأساطير السومرية وما بعد السومرية مثل قصة ملحمة جلجامش*.

ومن الرموز أو التصاوير التي وجدت في جزيرة فيلكا تصوير الأفعى على الأختام الدلمونية، وربما كان لتصوير الأفعى على الأختام الدلمونية أكثر من دلالة وسبب وفكرة ومغزى تأثراً بالفكر العقائدي والأسطوري السائد آنذاك في المناطق المجاورة. فعلى سبيل المثال، قد يكون تصوير الأفعى رمزاً دينياً يمثل آلهة معينة، أوقد يكون رمزاً تعويذياً كأن تكون الأفعى حارساً قوياً يدافع عن الأشخاص أو يطرد الشياطين، أو أنها تمثل رمزاً للشر أو رمزا للخير.

فإن فسرنا أن الأفعى صورت كإله معبود في الأختام الدلمونية، فإننا ذكرنا

---

* حضارة العبيد، حضارة دلمون، ظاهرة تلال المدافن، الفترة الهلنستية، الفترة المسيحية والعصر الإسلامي.

(٤٨) داود سليمان، يلدز. (٢٠١٥). مقارنة بين المعتقدات الدينية لبلاد الرافدين والعرب ما قبل الإسلام (دراسة تاريخية مقارنة). مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية. المجلد ٥. العدد ١. ص١٩٨-١٩٩. كذلك انظر: شاهين، علاء. (٢٠٠٧). العقائد المبكرة في مراكز حضارات الساحل الغربي للخليج العربي وشبه الجزيرة العربية إلى القرن الثالث قبل الميلاد: دراسة أولية: جامعة القاهرة. مجلة كلية الآثار، العدد ٢. ص ص ٣٤٥-٤١١.

* ملحمة جلجامش هي ملحمة سومرية كتبت على ١٢ لوحاً طينياً بالخط المسماري، وقد اكتشفت لأول مرة عام ١٨٥٣م بالصدفة في موقع أثري؛ حيث يعود هذا الموقع الأثري للملك الآشوري آشوربانيبال، وهو مكتبته الشخصية وهذه الألواح توجد الآن في المتحف البريطاني. انظر: (باقر ١٩٦٢، ص ص ٢٣-٢٤).

أن الكثير من آلهة دلمون هي نفسها بعض الآلهة من بلاد الرافدين، وهذه الآلهة قد اتخذت تصوير الأفعى رمزاً لها، وسوف نستعرض بعضاً منها فيما يلي:

الإله أنكي، وهو من الآلهة الرئيسية في بلاد الرافدين، جعل من الأفعى رمزاً أو لقباً له، والإله أنكي هذا هو إله الفلسفة والحكمة وإله الماء وهو الذي يدّعى عندهم أنه خلق الإنسان(٤٩).

وهذا الإله مرتبط بدلمون ارتباطاً خاصاً(٥٠)، ووصفت أرض دلمون في أسطورة أنكي وننخرساك، وهو يعتبر أول آلهة دلمون وأن هناك احتمالاً كبيراً أنه قد نشأ على أرض دلمون ثم انتقل شمالاً لبلاد الرافدين(٥١)، كما أن الإله مردوخ وهو ابن الإله أنكيوهو الإله الرئيسي لمدينة بابل قد اتخذ الأفعى أيضاً رمزاً له، وغالباً يظهر هذا الإله في الأختام الاسطوانية والتماثيل وبجانبه ثعبان مقرن يسمى (موشخوشو أو هوشوشو).

الإلهة تيامات/تياما، كذلك صورت على شكل أفعى عظيمة ومخيفة (انظر شكل ١٥)، وهذا ورد في ملحمة الخلق البابلية(٥٢). ومن الآلهة التي اتخذت الأفعى رمزاً لها أيضاً الإله "نيراه" (انظر: الشكل ١٦)، الذي يشابه ربما الثعبان الذي يظهر في الأختام الدلمونية التي تنتمي للمجموعة F3 رقم ٢٣٢، ١٤٣ و١٤٥(انظر: المطلب الثاني). وهو الإله الثانوي لمدينة الدير " تل العقير" ثم استبدل برمزه لاحقاً شكل بشر، نصفه الأسفل على شكل أفعى، وهذا الإله

(٤٩) مكانة الأفعى في المعتقدات الرافدانية. مجلة الآداب السومرية. العدد ٣. ص٣.

(٥٠) Potts, D.T. (2003). The Arabian Gulf in antiquity: from prehistory to the fall of the Achaemenid Empire. Abu Dhabi: Cultural Foundation. p 286.

(٥١) Rice, M. (2002). The archaeology of the Arabian Gulf. United Arab Emirates: Cultural Foundation Publications. p 204.

(٥٢) أسطورة الخلق البابلية من أساطير بلاد الرافدين عن بداية الخلق. انظر: شمّار، جورج بوييه. (١٩٨١). المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية. ترجمة: سليم الصويّص. بغداد: دار الرشيد للنشر. ص٧٧.

كان وزيراً للإله "ستران" إله مدينة الدير الرئيسي، وكانت وظيفته الرئيسية والمقدسة هي حماية معبد " إيكور" في نيبور/نفر الذي كرس لبعادة الإله إنليل، إله الهواء(٥٣). وكذلك الأفعى من رموز الإله " دموزي"؛ حيث يلقب بالأفعى العظيمة أو أفعى السماء(٥٤).

ويعتقد أيضاً أن الإلهة هاينانا، ولها اسم آخر أو تحمل اسماً آخر هو والدة الثعبان العظيم، قد اتخذت شكل أفعى ملتفة على عصا، وهذا ورد في أحد النصوص المسمارية، ويقال كذلك إن الأفعى التي سرقت نبتة الخلود التي وردت في ملحمة جلجاحش ما هي إلا إينانا كنوع من الانتقام عندما رفض جلجامش الزواج منها وسخر منها(٥٥).

والإله ننجشزيدا/تنكش زيدا كان رمزه أيضاً أفعى مقرنة عظيمة ذات رؤوس وألسن عديدة، أي أفعى على هيئة تنين، وهو أحد آلهة سلالة لجش، ويحمي أو يحرس الملك (الإله) جوديا(٥٦). ويعرف أيضاً بأنه بديل ننجرسو، وكان حارساً على الباب الذي يؤدي إلى العالم الأسفل(٥٧).

إذن، من المرجح هنا أن عبادة الأفعى ربما كانت تمارس في الخليج العربي منذ العصر البرونزي (دلمون)، وربما هذا ما يفسر تصوير الأفعى على الأختام

---

(٥٣) عبدالأمير الحمداني، مرجع سابق، ص٢-٣.

(٥٤) Skinner, Andrew C. (2001). Serpent symbols and salvation in the ancient Near East and the Book of Mormon. Journal of Book Mormon Studies 10/ 2. p 46.

(٥٥) الحمداني، عبدالأمير. (٢٠٠٨). مكانة الأفعى في المعتقدات الرافدانية. مجلة الآداب السومرية. العدد ٣. ص٣-٤.

(٥٦) Wiggerman, F. A. M. (1997). Transtigridian snake gods. inFinkel& Geller (eds). Sumerian gods and their representations (Cuneiform Monographs 7). Groningen: STYX Publications. p 37.

(٥٧) فتوحي، عامر حنا. (٢٠٠٧). الكلديون/الكلدان منذ بدء الزمان: بحث في الهوية القومية الكلدية/الكلدانية. ط٢. الولايات المتحدة الأمريكية: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف. ص ٢٥١.

الدلمونية تأثراً بمعتقدات بلاد الرافدين، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الأفعى قد تعبد بصورة غير مباشرة بتمثيلها من قبل الناس على أنها رمز للآلهة، أو تعبد بصورة مباشرة باعتبار أن الآلهة قد تتحول إلى أفعى في بعض الأحيان وهذا من إحدى صفاتها(٥٨). ففي أسطورة الإلهة إينانا(٥٩)، وهي في الأصل ابنة إله القمر في بابل القديمة، ورد أنها تتغير خلال الوقت إلى إلهة على هيئة أفعى تستقر في المستنقعات وعند مصاب الأنهار(٦٠). إضافة إلى أن إله القمر في بابل وهو "سيرخا" يتخذ الأفعى شكلاً له (إله على شكل أفعى). وكذلك يتكرر هذا المشهد كثيراً في أساطير بلاد الرافدين مثل قصة تيامات وصراعها مع مردوخ وجلجامش. وقد تأثر شرق شبه الجزيرة العربية بهذا الاعتقاد؛ حيث عثر في شبه جزيرة عمان على رسومات يبدو أنها تجسيدات لأشكال ثعابين وتعود للألف الثالث قبل الميلاد. وظهرت هذه الأشكال أيضاً على واجهة مقبرة هيلي التي تعود للعصر البرونزي المبكر في الخليج العربي. وقد استمر هذا الاعتقاد إلى فترات طويلة وصلت إلى مابعد العصر البرونزي وخاصة في جنوب غرب الخليج العربي "الإمارات"؛ حيث اكتشفت البعثات الأثرية في موقع "مويلح"، الذي يقع في إمارة الشارقة ويعود تاريخه إلى ما بين (١٢٠٠-١١٠٠ ق.م.) أي فترة العصر الحديدي(٦١)، على أدلة لممارسة هذه العبادة، وهي عبارة عن تماثيل برونزية على هيئة أفعى(٦٢).

---

(٥٨) الهاشمي، طه. (١٩٦٣). تاريخ الأديان وفلسفتها. بيروت: دار مكتبة الحياة. ص ١٢.

(٥٩) مطر، سليم. (٢٠٠٤). خمسة آلاف عام من الأنوثة العراقية: موسوعة الهوية النسوية في ميزوبوتاميا. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص١٢- ٢٠.

(٦٠) Hastings, James. (1908). Encyclopedia of Religion and Ethics. Edinburgh: T. & T Clark. Vol.11, p 402.

(٦١) Magee, P. (1998). New Evidence of the Initial Appearance of Iron in Southeastern Arabia. Arabian archaeology and epigraphy. 9, 112-117.

(٦٢) Anne, B. (2008). The Iron Age Culture in the United Arab Emirates between 1100 BC and 250 BC.Bulletin of Archaeology, Kanazawa Univ. 29, p 31-41.

وكذلك في موقع "البثنة"، الواقع في إمارة الفجيرة، الذي يعود للفترة نفسها لموقع مويلح (انظر: الشكل ١٧)، عثر على ما يدل أن عبادة الأفعى ربما مورست في هذا الموقع؛ حيث وجد الكثير من قطع الفخار التي رسمت عليها أشكال مختلفة من الأفاعي(٦٣). والجدير بالذكر أن المرة الأولى التي كشف فيها عن عبادة الأفعى في إمارة دبي هي في موقع القصيص؛ حيث عثر على تماثيل برونزية صغيرة على شكل أفاعٍ(٦٤)، بالإضافة إلى موقع "ساروق الحديد"، الواقع أيضاً في إمارة دبي، وقد عثر على قطع فخارية تعود للعصر الحديدي رسمت عليها أفاعٍ(٦٥). وربما هذا يدلل على أن هذه العبادة لم تندثر بشكل كلي منذ آلاف السنين، بل بقيت تمارس إلى فترات طويلة بعد العصر البرونزي. وقد عرف الجانب الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، (خاصة منطقة الجوف حالياً الواقعة ما بين نجران وحضرموت، وهي ما سميت قديماً بمملكة معين)، هذه العبادة من خلال الإله ود الذي ربما اتخذ الأفعى رمزاً له(٦٦).

أما إذا اتجهنا للجهة الشرقية من الخليج العربي، فقد تأثرت بلاد فارس قديماً بهذا الفكر الديني، حيث وجدت أختام عليها تصوير أفعى، وذلك في منطقة عيلام جنوب غرب إيران(٦٧).

---

(٦٣) Anne, B. (2007). An Iron Age II snake cult in the Oman peninsula: evidence from Bithnah (Emirate of Fujairah). Arabian archaeology and epigraphy. 18, p 34-54

(٦٤) الدويش، سلطان. مرجع سابق. ص ١٠٣. انظر كذلك: طه، منير يوسف. (١٩٨٩). اكتشاف العصر الحديدي في دولة الإمارات العربية المتحدة. جامعة البصرة: مركز دراسات الخليج العربي. ص١١١.

(٦٥) Herrmann, J.T,Casana, J and Qandil, H. (2012). A sequence of inland desert settlement in the Oman peninsula: 2008-2009 excavations at Saruq al-Hadid, Dubai, UAE. Arabian archaeology and epigraphy. 23, p 50-69.

(٦٦) Potts, D.T. (2007). Revisiting the snake burials of the late Dilmun building complex on Bahrain. Arabian archaeology and epigraphy.18, p 65-66.

(٦٧) Mundkur, B. (1983). The cult of the serpent: An interdisciplinary survey of it manifestations and origins. Albany: State University of New York Press. p 86.

وهذا التوافق والتأثر الفكري والعقائدي ما بين بلاد الرافدين ومجتمع جزيرة فيلكا وبلاد فارس وباقي منطقة الخليج العربي، ربما أتى من خلال العلاقات الحضارية والثقافية، أو هيمنة قوى معينة في إحدى هذه المناطق على المنطقة بكاملها، ومن ثم تأثر الناس بفكرها وعقيدتها وحضارتها بشكل كبير.

والمطلع على بعض الثقافات العالمية المختلفة، يجد أن هذه العبادة والممارسة الطقوسية قد وافقت وشابهت ممارسات أخرى في أماكن مختلفة عند أمم وشعوب متنوعة، ومن المحتمل أن هذا التوافق أو التشابه نتج من طريق العلاقات التجارية والتواصل الحضاري الثقافي، لذلك انتشرت هذه الظاهرة من العبادة عالمياً آنذاك. فإذا اتجهنا إلى المجتمعات والحضارات البعيدة نسبياً والأكثر بعداً، فإننا نجد أن الأفعى قد عبدت من قبل العبرانيين؛ إذ دلت المكتشفات الأثرية في منطقة الجزر في فلسطين، التي تعود إلى العصر البرونزي (٣٠٠٠-١٢٠٠ ق.م) أن هذه العبادة كانت تمارس فيها؛ حيث عثر على هيكل ضخم اتخذ كمعبد للأفاعي، ومن ضمن المعثورات تمثال برونزي ضخم لأفعى من نوع الكوبرا، وكذلك عثر على تماثيل مصنوعة من الحجر على هيئة أفاعٍ من نوع الكوبرا، ويعتقد اليهود أن هذه العبادة المتمثلة في الأفعى البرونزية (الكوبرا) من صنع النبي موسى، عليه السلام، وقد اكتشفت هناك أيضاً بعض التوابيت التي يعتقد بأنها صنعت خصيصاً لحمل الأفاعي المقدسة، ويعتقد أن هذه التوابيت تحمل وترافقهم أينما حلوا، وبخاصة في وقت الأزمات مثل الحروب والأخطار الأخرى التي تواجههم؛ حيث يكون الإله "الأفعى" قريباً منهم(٦٨).

وقد لاقت الأفعى شيئاً من التبجيل والتقديس لدى الإغريق في القدم، ولكنها لا تعتبر الدين الرئيسي عندهم، وتضيف أساطير الإغريق أن الملك سيكروبس (أول ملوك أثينا) كان جسمه نصفه إنساني متمثلاً بنصف رجل

(٦٨) أنس الوجود، ثناء. (١٩٨٤). رمز الأفاعي في التراث العربي. جامعة عين شمس: مكتبة الشباب. ص ٤٣.

ونصفه الآخر على هيئة أفعى(٦٩). كذلك إذا اتجهنا إلى قارة أستراليا فقد اتخذت الأفعى طوطما لدى سكان أستراليا الأصليين، وخاصة الذين يقطنون في قلب قارة أستراليا، وفي الأساطير الأسترالية تسمى الأفعى باسم "أبينغانا"؛ حيث يعبر بهذا الاسم عن الزمن الأول وزمن خلق العالم وخلق الكائن الأول، ويعتقد أن أبينغانا هي الأم التي أوجدت كل شيء مثل البشر السود والشجر والصخور والمياه، وهي التي خلقت الطيور والكنغر. ويعتقدون أنه في الزمن القديم كان كل شيء موجوداً داخل أبينغانا، وأبينغانا هي عبارة عن أفعى(٧٠)، وعندما أخذت هذه الأفعى تئن وتصدر صوتاً مخيفاً بأنينها وصخب أصوات المخلوقات التي بداخلها من الناس السود وغيرهم، اقترب منها رجل عجوز يدعى "بارايا" ورماها برمحه فأصابها ففتح في جسدها فتحة خرج منها الدم وخرج منها الناس السود أيضاً(٧١).

وكذلك عبدت الأفعى من قبل المجتمعات القديمة لأمريكا الوسطى، من مثل المايا والإزتك(٧٢)، حيث كان إله شعب المايا الرئيسي يصور أحياناً على شكل أفعى، والإزتك أيضاً يعتبرون الثعبان الرئيسي هو خالق البشر(٧٣).

---

(٦٩) Osborn, L. (2015).Ancient Greek Mythology in the Modern Albanian Epic, Songs of the Frontier Warriors. Unpublished Thesis: The University of Arkansas. p 27.

(٧٠) Hamacher, D.W. (2011). Meteoritics and Cosmology Among the Aboriginal Cultures of Central Australia. Journal of Cosmology, Vol: 13, p. 3743-3753. See also; Jackson, S and Mirick, P. (1914). Massachusetts snakes a guide. USA: United States Department of Agriculture cooperating. p 2.

(٧١) Cowan, J. (1994). Forward. Kun-Man-Gur the Rainbow Serpent. Boston & Bath: Barefoot Books, p 1-2.

(٧٢) المايا والإزتك من حضارات أمريكا الوسطى. انظر:

Macdonald, F. (2009). Passport to the past: The Aztec and Mayan World. New York: The Rosen Publishing Group. p4-5.

(٧٣) Leonardo, C. (2001). The rivers ran east. California: Publishers Group West. p 58.

وإذا نظرنا إلى ثقافة آسيا، فقد قدست الأفعى كإله أو رمز للإله، فعلى سبيل المثال يعتقد اليابانيون أن الأفعى ماهي إلا نوع من التجسيدات التي تتخذها الآلهة على الأرض(٧٤).

إن التقدم العلمي والتكنولوجي وانتشار العلوم بشتى أنواعها وتفتح العقول وتحضر االعالم، لم يثن بعض المجتمعات عن ممارسة بعض من معتقداتها القديمة حتى وإن كانت غير منطقية؛ فبعض مجتمعات الهند وغينيا الجديدة لا تزال تمارس عبادة الأفعى إلى وقتنا الحاضر. فالبراهما، وهي طائفة من الهندوس، مازالت تمارس هذه العبادة(٧٥).

والحقيقه أنه ليس كل أنواع الأفاعي تعتبر أو تمثل الآلهة في هذه الطائفة فأفعى الصل "الكوبرا" لها اهتمام خاص دون سائر الأنواع الأخرى، فهم يعتقدون أن هذه الأفعى من طبيعة الآلهة أو أن الآلهة تتجسد على شكل كوبرا ويسمونها (ناجا)(٧٦).

وهذه الأفعى ذات الطبيعة الإلهية عند البراهما، هي في معتقداتهم تصاحب إله الشمس "سوريا"، ومن ضمن معتقداتهم أيضاً أن من يقتل الأفعى فإنه يصبح عقيماً. ولذلك فهي تعتبر "تابو"؛ بمعنى أنها من المحرمات في بعض أجزاء بلاد الهند. وفي بومباي يعتقد أن من تلدغه الأفعى ويموت متأثراً بالسم

(٧٤) Sasaki, K. Sasaki, Y. and Fox, S.F. (2010). Endangered traditional beliefs in Japan: influences on snake conservation. Herpetological Conservation and Biology 5(3).p 474- 485. See also; Sasaki, Y and Fox, S.F. (2010). Endangered traditional beliefs in Japan: influences on snake conservation. Herpetological Conservation and Biology 5(3).p 474- 485.

(٧٥) المقدسي، صبري. (٢٠٠٧). الموجز في المذاهب والأديان. ج١. أربيل: مكتب الأستاذ سركيس آغاخان. ص ص ٣٢ –٣٣، ٣٧.

(٧٦) Jones, C.A.and Ryan, J.D. (2007). Encyclopedia Of Hinduism.(ed.) Encyclopedia of Religion. Vol.1. p83. See also; Shahi, Jyoti. (1980). The child and serpent: Reflections of Popular Indian Symbols. London: Routledge& Kegan Paul. p 161.

فإن التعامل مع جثته يختلف تماماً عما يفعله معتنقي الديانة الهندوسية بميتهم؛ فهو لا يحرق كما جرت العادة، وإنما يترك جسده في العراء لفترة محدودة من الزمن اعتقاداً وأملاً من أرواح الأفاعي أن تأخذها الرأفة به ومن ثم يعود للحياة مرة أخرى. وإذا لم يعد للحياة فإنه يدفن ولا يحرق، ولذلك فهم يؤمنون بأن هذا الشخص سوف يعيش في الحياة الأخرى، ولكن ليس بشكله كإنسان، إنما على هيئة أفعى، ولتجنب هذا الأمر لابد أن يصنعوا تمثالاً لأفعى من الخشب أو الفضة أو الذهب، وتقدم القرابين لهذا التمثال حتى لا تثبت روح الميت مرة أخرى بشكل أفعى(٧٧).

ومن الممتع حقيقة أن نجد طقوساً من أماكن أخرى تحاكي هذه الممارسات التي تطبق على قاتل الأفعى مع الاختلاف في الفعل والاتفاق على الهدف المنشود، وهو تطهير روح أو جسد قاتل الأفعى، ففي غينيا الجديدة تقام طقوس لتطهير قاتل الأفعى عند قبيلة الأماكسوما، حيث لابد أن يستلقي قاتل الأفعى في ماء النهر أو ماء يجري، وذلك لأكثر من أسبوع وخلال هذه الفترة لا يسمح لأي فرد أن يؤذي أي حيوان، وعند انتهاء هذه المدة يتم أخذ جسد الأفعى المقتولة وتكفن وتدفن بجانب حظيرة للمواشي(٧٨).

إذن، هذا الانتشار الواسع لعبادة الأفعى أو باعتبارها رمزاً للآلهة لم يقتصر على مجتمع جزيرة فيلكا وبلاد الرافدين أو باقي مناطق الخليج العربي، بل في حقيقة الأمر وافقتها بذلك مجتمعات أخرى قريبة وبعيدة؛ لتشكل بذلك ظاهرة عالمية مورست في بلدان وأماكن مختلفة من العالم، لذلك لا ريب أبداً أن نجد هذه العقيدة ربما لعبت دوراً في حضارة دلمون، ومن ثم أثرت في سماتها ومميزاتها حيث ظهرت في تعاملاتها وعلى أختامها؛ وذلك لتدل على تبجيل هذه العقيدة واحترامها.

---

(٧٧) ثناء أنس الوجود، مرجع سابق، ص٣٠.

(٧٨) إبراهيم، مجدي. (٢٠١٦). الأفاعي أسطورة الخير والشر. المجلة العربية، ٤٧٥. ص ص ٢٣-٢٩.

وإذا التفتنا إلى الغرض الآخر من استخدام رمز الأفعى وهو استخدامها كإله حارس أو حام، فقد يكون رمز الأفعى على الأختام الدلمونية في جزيرة فيلكا ما هو إلا دلالة على أنها تلعب هذا الدور؛ أي الإله الحارس الذي يحفظ ويحمي البضائع من أن تدنسها الشياطين، أو أنه كان الاعتقاد آنذاك أن من يسرق هذه البضائع تحل عليه لعنة الآلهة وتنتقم منه هذه الأفاعي لاحقاً، خصوصاً أن حضارة دلمون لها صلات وعلاقات تجارية واسعة امتدت إلى مناطق بعيدة مثل بلاد الرافدين وآمور – في بلاد الشام– [٧٩]، ووادي السند ومنطقة لوثال في الهند[٨٠]، فضلاً عن الخليج العربي. وذكرنا فيما سبق أن الأساطير السومرية وصفت الإله "ننجيشزيدا" بأنه حامي بوابة الإله "أنو" وحارسها، و"أنو" يمثل إله السماء ورئيس الأنوناكيد – مجلس الآلهة –[٨١]، ويشترك معه في الوظيفة نفسها الإله دموزي.

كما أن هذين الإلهين يهبطان إلى العالم السفلي خلال فترة معينة من السنة؛ ذلك بهدف استدامة دورة الحياة، وبالإضافة إلى هذه المهمة المحددة خلال فترة زمنية من السنة فإنهما يقومان بحراسة بوابة العالم السفلي، ويراقبان تحركات الشياطين، وبحسب الأساطير السومرية فإن بيت الآلهة يحتوي على النواميس الإلهية وألواح القدر التي كتب فيها مصير البشر، ولهذا السبب يتباهى الإله ننجيشزيدا باستمرار بأنه الحارس الأمين لهذا البيت، ويقول إنها من أهم الواجبات لديه وأقربها لنفسه. وكما أسلفنا فإن رمز الإله ننجيشزيدا هو الأفعى التي على هيئة تنين؛ لذلك ربما ارتبط رسم الأفعى على الأختام

(٧٩) هيا آل ثاني، مرجع سابق، ص١٥٩.

(٨٠) Rao, S.R. (1963). A Persian Gulf seal from Lothal. Antiquity 37: 96-99.

(٨١) الماجدي، خزعل. (١٩٩٨). متون سومر: الكتاب الأول التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت والطقوس. المملكة الأردنية الهاشمية: الأهلية للنشر والتوزيع. ص ٨١. وكذلك انظر: رشيد، فوزي. (١٩٨٥). الديانة: المعتقدات الدينية. كتاب حضارة العراق، الفصل الخامس. بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث. ص ص ١٦٤–١٧٠.

الدلمونية بذلك إشارة إلى أن هذه البضاعة التي تحمل مثل هذا النوع من الأختام يقوم بحراستها بعض الآلهة الممثلة برمز الأفعى، أو أن هذه الأختام التي تحمل هذه الرموز من الأفاعي ربما تستخدم أيضاً استخداماً آخر كأن تعلق على رقاب الأطفال والنساء والرجال أيضاً كتمائم (تعويذة) تحرسهم وتطرد الأرواح الشريرة عنهم(٨٢)، خصوصاً إذا عرفنا أن التعويذة كانت منتشرة بشكل كبير في الشرق الأدنى القديم(٨٣)، وكانت تستخدم لأغراض متعددة ومختلفة مثل أنها تعطي الثقة والقوة لحاملها، وأيضا تستخدم للشفاء والحماية من الأمراض؛ حيث تعلق على جزء من جسم الإنسان مثل الرقبة أو الخصر، فعلى سبيل المثال كان السومريون يدفنون التعويذة تحت منازلهم أو عند الأبواب والنوافذ(٨٤).

وفي مصر القديمة كان يوجد نحو ٢٧٥ نوعاً من التعاويذ(٨٥)، وأختام دلمون في جزيرة فيلكا ربما استخدمت لهذا الغرض. لذلك يقول بدج Budge(٨٦): إن الأختام الأسطوانية كانت تستخدم قديماً كتعويذة في بلاد الرافدين. هذا التصور يعكسه ما تناقلته أساطير حضارات بلاد الرافدين، وبعض أساطير الحضارات والمجتمات الأخرى في أماكن مختلفة من العالم أيضاً. فبالنسبة إلى بلاد الرافدين، نجد دور الحارس للأفعى متمثلاً في الأفعى التي سرقت نبتة

(٨٢) البياتي، عبدالحميد فاضل. (٢٠١٣). تاريخ الفن العراقي القديم. الحله: جامعة بابل. ص ص ٣٤–٣٥. أنظر كذلك. Ibid. p 404:Rice

(٨٣) Budge, E. A. W. (2001). Amulets and magic. London: Kegan Paul. p1. See also; Golding, W.R.J. (2013). Perceptions of the serpent in the ancient Near East: its Bronze Age religion apotropac magic, healing and protection. South Africa: University of South Africa. p 49.

(٨٤) Farber, W. (1995). Witchcraft, magic and divination in ancient Mesopotamia. P1903 in Vol. 3 of Civilizations of the ancient Near East. (ed) by Jack M. Sasson. 4 Vols. New York: Charles Scribners sons.

(٨٥) Pinch, G. (2006). Magic in ancient Egypt. London: The British Museum. p104.

(٨٦) Budge, E.A.W. Ibid. p 82.

الخلود من جلجامش(٨٧)؛ حيث كانت تعيش إلى جانب بئر ماء وتحرسه. وتمثل هذا الدور للأفعى في الحضارة البابلية القديمة أيضاً؛ حيث إنها هي التي تقوم على حراسة النهر والمستنقعات، ولذلك نجد أن رمز الأفعى ذات الرؤوس المتعددة، يمثل الإله "أيا" ويسمى أيضاً إله النهر ذي الأفعى العظيمة(٨٨).

وإذا أمعنا النظر في بعض الممارسات الحديثة عند بعض المجتمعات العربية (العراق مثلاً)، فإننا نجد أن بعض البيوت في الأرياف والمدن يتم رسم رمز الأفعى على جدرانها أو في مقدمة واجهة البيت؛ وذلك لاعتقادهم أنها تقي من الحسد وتمنع دخول الأرواح الشريرة إلى المنزل(٨٩).

وجرت العادة في المعتقدات المصرية القديمة أن رأس الأفعى يعلق كتميمة لحماية حاملها من عضات الأفاعي(٩٠). وتقول الأساطير المصرية القديمة أن هناك خطراً دائماً محتملاً من قبل أعداء فضائيين، ولذلك يشعر الإنسان بالخوف والقلق الدائم من هذا الخطر، ومن ثم وجبت الحاجة إلى أن تحرس الأرض من قبل أحد ما وهذا ما، تمثله الأفعى الضخمة، إذ تضع ذيلها في فمها والأفعى هي التي تحيط بالأرض(٩١).

في مصر القديمة كانت الأفعى أيضاً هي التي تحمي جبهة الملك؛ حيث اقترن التاج الملكي برمز الأفعى، وتسمى "جت"، وهذه الأفعى تظل موجودة ما دام الملك على قيد الحياة، فإذا توفي لاذت بالفرار، وهنا لابد أن تتم مراقبتها

---

(٨٧) Sanders, N.K. (1972). The epic of Gelgamish. London: Penguin Books. p 16-18.

(٨٨) Black, J. and Green, A. (2008). Gods, demons and symbols of ancient Mesopotamia. London: The British Museum Press. p75. See also; Morris, D. and Morris, R. (1965). Men and snakes. London: Hutchinson &Co. p 46.

(٨٩) عبدالأمير الحمداني، مرجع سابق، ص١٢.

(٩٠) Brier, B. (2001). Ancient Egyptian magic: spells, incantations, potions, stories, and rituals. New York: Perennial. p194

(٩١) كلارك، رندل. (١٩٩٩). الرمز الأسطورة في مصر القديمة. ترجمة: أحمد صليحة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص٢٣٨.

وحراستها؛ لأنها إن تركت طليقة، أصبحت معادية، وإن ذهبت خارج حدود مصر فإن البلد بعدها سوف يعم فيه الفوضى والاضطراب(٩٢).

وكذلك لعبت الأفعى دور الحراسة في قصص مصرية أخرى مثل قصة الإله "توت" والملك "نختانبو". فالإله توت الذي ألف كتاباً عن السحر وقيل إن من يقرأ أول حكمة في هذا الكتاب، يستطيع أن يسلط سحره على السماء والأرض، ومن يقرأ الحكمة الثانية فإن باستطاعته العودة للحياة مرة أخرى بعد وفاته، وهذا الكتاب وضعه في داخل صندوق ذهبي ومن ثم وضع هذا الصندوق داخل صندوق آخر من الفضة، وهذا الأخير وضع أيضاً في صندوق من البرونز ثم وضع في صندوق من حديد، ومن ثم قام توت برمي هذه الصناديق في البحر وعين عليها حراساً من الأفاعي، وأمر أيضاً أن تلتف إحدى الأفاعي حول الصندوق لحمايته(٩٣).

وكذلك وردت قصة الملك (نختانبو)، وهو آخر ملوك مصر القديمة، اشتهر بسحره الذي تفوق فيه على جميع الملوك من سلالة الآلهة، ومن ثم كرهوه وحقدوا عليه؛ الأمر الذي جعله يرحل إلى مقدونيا، وهناك عرف نفسه للناس بأنه منجم من مصر وذاع صيته كساحر، ومن خلال سحره تقمص روح الإله آمون وأصبح على علاقة مع الملكة أولمبيا "أم الإسكندر الأكبر" وعندما كان يريد الذهاب لمقابلتها كان يحضر له موكباً ويسبق هذا الموكب أفعى تقوم بحراسته في الطريق(٩٤).

---

(٩٢) Watterson, B. (1999). Gods of ancient Egypt. Surrey: Bramley Books. p 129-131.
انظر كذلك: كريمر، صمويل نوح. (١٩٧٤). أساطير العالم القديم. ترجمة: أحمد عبدالحميد يوسف. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب. ص٧٠.

(٩٣) إبراهيم، نبيلة. (٢٠٠٠). أشكال التعبير في الأدب الشعبي. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر. ص٨٠.

(٩٤) رانيلا، أ.ل. (١٩٩٩). الماضي المشترك بين العرب والغرب. ترجمة: نبيلة إبراهيم. الكويت: عالم المعرفة ٢٤١. ص ص ٦٢-٦٣.

ومن يقرأ الأساطير الإغريقية فسوف يجد أنها لا تخلو من تصوير الأفعى كحارسة أو حامية؛ حيث كانت أم الإله "أيون"، واسمها كريبوسا، تنتسب إلى عشيرة الأيرثخثيوس التي ترجع في أصولها إلى رجل له ذنب أفعى، وقد تركت كريبوسا ابنها وحيداً في العراء بعدما وضعت في رقبته قلادة مصنوعة من ذهب على هيئة أفعى ظنا منها أنها تحرسه(٩٥).

ولم يخل تراثنا العربي القديم من استخدام الأفعى كحارس أو حام؛ حيث كان العرب في الجاهلية يعتقدون بقصة الأفعى التي تقوم بحراسة بئر زمزم وحمايته، وهي كذلك تقوم بالدفاع عن مكة المكرمة(٩٦). واستمر هذا الاعتقاد القديم لفترات متعاقبة ومستمرة إلى أن وصل إلى أرض الكويت في العصر الحديث، وهو ما يعتقده أهالي جزيرة فيلكا عن أفعى حارسة تحمي كنزاً، هو خزنة يوجد بها نقود، وهذه الخزنة مدفونة تحت موقع أثري سمي فيما بعد "بتل الخزنة"(٩٧)، وهو يعود إلى فترة الوجود الإغريقي في الجزيرة(٩٨)؛ أي بنحو القرن ٣ ق.م، وبالفعل حينما نقب هذا الموقع من قبل البعثة الفرنسية، عثر على خزنة صغيرة يوجد بها "دراخما" نقود إغريقية(٩٩)، ولذلك يمكن أن نستنتج هنا أن أحداً من أهالي جزيرة فيلكا قام بالعبث بهذا الموقع وحفره، وبالفعل وجد

(٩٥) طومسون، جورج. (١٩٧٥). أسخيلوس وأثينا. ترجمة: صالح الكاظم. بغداد: وزارة الإعلام العراقي. ص٢٨.

(٩٦) الأزرقي، أبوالوليد محمد. (٢٠١٠). أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. بيروت: دار الأندلس. ص ص٥٨-٥٩.

(٩٧) Salles, J. F. (1984). Excavations at Tell Khazna. In D. Calvet and J. Salles (eds), FailakaFoulillesFrancaises 1984-1985. Travaux De La Maison De L'Orient12. p 107.

(٩٨) Mathiesen, H. (1982). Ikaros: the terracotta figurines. Jutland Archaeological Society Publication 16. (1): p7-88.

(٩٩) Callot, O. (1984). Monetary finds at Tell Khazna. In D. Calvet and J. Salles (eds), FailakaFoulillesFrancaises 1984-1985. Travaux De La Maison De L'Orient12: 291.

الخزنة، لكنه ربما واجه مصادفة أفعى بجانبها، وظن أن هذه الأفعى تقوم على حراسة هذه الخزنة وتهاجم من يحاول أن يأخذها أو الاقتراب منها، ومن ثم أشاع ونشر هذا الخبر بين أهالي الجزيرة وتناقلوه من جيل إلى جيل.

لذلك لا عجب في أن تثبت وترسخ الأسطورة التي نسمعها سواء من أجدادنا وآبائنا أو من خلال الحكايات العامة التي تنتشر في المجتمع، ومن ثم يتم توظيفها وإسقاطها على الأحداث التي تمر بنا وإن كانت بمحض المصادفة، وهذا ربما ما يفسر انتشار الأساطير واستمرارها عبر الأجيال، التي تؤثر بالتأكيد في مشاهدات الناس وتباعاً تؤثر بصورة أو بأخرى في تحليلهم وتفسيرهم لأي ظاهرة أو حدث يمر بهم حتى وإن كان بسيطاً ويحدث بشكل اعتيادي.

وهذا ما جعل الأفعى في فيلكا – على سبيل المثال – أن تكون حارسة لخزنة نقود؛ بمعنى أن هذا التفسير من قبل الأهالي لم يأت من فراغ إنما كان امتداداً لتراكمات حكايات أسطورية وتراثية حول هذه الميزة للأفعى بأن تكون حارسة أو حامية لشيء ما تسكن أو تعيش بجانبه.

ولعل هذا التفسير يسري على ما يتناقله الناس عبر الأساطير بأن الأفعى تقوم على حراسة الآبار والأنهار؛ حيث ذكرت الأفعى بأسطورة جلجامش أنها كانت تحرس نبع ماء وتقيم بجواره. وطبقاً للحضارة البابلية القديمة، كما أسلفنا، فالأفعى هي من تقوم بحراسة الأنهار والمستنقعات، وكذلك قصة الأفعى التي كانت تحرس ماء زمزم وتذود بالدفاع عن مكة المكرمة.

كل هذه الأساطير والقصص ما هي إلا من نسج خيال الإنسان سواء كان الإنسان القديم أو من الفترات اللاحقة. وهو فعلاً يفسر مشاهدات هذا الإنسان لهذا المخلوق (الأفعى) التي تعيش في بيئتها الطبيعية؛ حيث مر علينا خلال هذا البحث بعض البيئات التي تعيش فيها الأفاعي، ومنها الآبار والمستنقعات والأنهار والبحار(انظر: المطلب الأول)، وهو أمر طبيعي، بينما نجد أن هذا الأمر فسره الإنسان بأنه نوع من الحماية والحراسة، وهذا طبعاً من هاجس الخوف الذي كان ينتابه عندما يقترب من هذه الأفعى وتهاجمه، ولذلك حاك الأساطير وألف القصص والحكايات حول

دور الأفعى في الحراسة والحماية. إذن، مجتمع جزيرة فيلكا لم يكن منعزلاً ومتفرداً في معتقداته وفكره وعلاقاته، بل تأثر فيما يحيط به من معتقدات وأفكار وعادات للمجتمعات من الحضارات الأخرى المجاورة. ومن ثم ربما انتقلت هذه المعتقدات والثقافات إلى آفاق أخرى بعيدة، لذلك ليس من الغريب أن نجد التوافق والتشابه في الطقوس والممارسات الدينية في مجتمعات وحضارات أخرى.

ولم يكتف الفكر والخيال الإنساني من أن يضفي على الأفعى أدواراً أخرى، كأن تكون مثلاً رمزاً للشر والدمار والخراب، أو أنها تكون على العكس من ذلك كأن تكون رمزاً للخير بتمثيلها رمزاً للخصوبة والطب والشفاء.

أما بالنسبة لجانب الشر والدمار والخراب الممثل في رمز الأفعى، ففي النصوص الرافدينية القديمة وردت قصة آدم وحواء[١٠٠]، وكيفية أنها تشير إلى إغواء آدم وحواء ليأكلا من الشجرة التي منعا منها، والذي قام بعملية الإغواء هذه أفعى[١٠١].

وفي المتحف البريطاني، خاصة في قسم آثار الشرق الأدنى القديم، يوجد ختم أسطواني (انظر: الشكل ١٨) ربما يحكي ويصور قصة آدم وحواء كما جاء في النصوص السومرية، والختم رسم عليه رجل جالس على كرسي يلبس تاجاً ذا قرنين، أمامه امرأة جالسة أيضاً على كرسي تلف رأسها برباط أو قبعة وتتوسط هذا الرجل والمرأة شجرة، وفسرت بأنها شجرة نخيل، حيث يتدلى منها فرعان من الأغصان يعتقد بأنها عذوقها، والرجل بهذا التصوير يمد يده اليمنى والمرأة كذلك تمد يدها اليسرى نحو الشجرة إشارة إلى أنهما قطفا الثمار من هذه الشجرة، وفي الختم صورة أفعى ضخمة تقف وراء المرأة، إشارة إلى

(١٠٠) الحمداني، عبدالأمير. (٢٠٠٩). صورة النخلة في المعتقدات الرافدينية. مجلة الآداب السومرية. العدد ٤. ص١-٢.

(١٠١) عبدالله، منى محمد أنور. (٢٠٠٨). الرمز في الفن الشعبي التشكيلي بمصر واستخدام رموز الحب والكراهية في تصميم المنسوجات. جامعة فيلادلفيا: المؤتمر الدولي الثالث عشر لكلية الآداب والفنون. ص١٤.

أن عملية الإغواء حدثت من قبل هذه الأفعى، ويعتقد أن هذا التصوير على الختم ربما يرمز إلى قصة سيدنا آدم وحواء(١٠٢).

وكذلك الأفعى كمثال أو رمز للشر وردت في قصة أو ملحمة جلجامش حيث سرقت منه نبتة الخلود، وتذكر الأسطورة أن أوتونابشيم أفشى لجلجامش بسر نبتة الخلود وأرشده إلى مكانها، وهذه النبتة هي التي تجدد شبابه وتعطيه صفة الخلود، وبالفعل حصل عليها جلجامش بعد جهد وعناء وعندما كان في طريق العودة لوطنه توقف ليغتسل، وباغتته الأفعى وسرقت منه نبتة الخلود وفوراً استبدلت جلدها، وبذلك جددت شبابها(١٠٣).

وكذلك صورت الأفعى رمزاً للشر في ملحمة الخلق البابلية؛ إذ بعد زواج " أبسو" إله المياه العذبة بتيامات إلهة المياه المالحة نتج عنهما الكثير من الآلهة، التي تزاوجت فيما بينها لاحقاً، ونتيجة لذلك تكاثر عدد الآلهة ومن أبرزهم ثلاثة آلهة ذكور (أنو/ أنليل/أنكي)، وبعد فترة ضجر الإله (أبسو) من إزعاج هذه الألهة فقرر التخلص منهم، ولما علموا بذلك أخبروا تيامات بالأمر، فقامت بدورها برفض هذه الفكرة، ولكن أبسو أصر على ذلك حتى وإن عارضت تيامات وراح يعد العدة هو ووزيره "حمو" للقضاء على هذه الآلهة، وعندما علمت الآلهة بذلك استجارت بالإله أنكي واعتمد أنكي على قوته السحرية وأصاب بها الإله " أبسو" بالشلل؛ حيث شل حركته ومن ثم تم قتله، ونتيجة لذلك أصبح تاج الألوهية بيد أنكي الذي قام بسجن "حمو" وزير أبسو، وهذا ما أغضب تيامات غضباً شديداً؛ الأمر الذي دفعها للانتقام(١٠٤)، وهنا أنجبت جيشاً من الشياطين على شكل أفاعٍ

(١٠٢) Yaseen, Ghassan T. (2011). Quran and Archeological Discoveries: Evidence from the Near East World Journal of Islamic History and Civilization 1 (3): 208.

(١٠٣) Dalley, S. (2000). Myths from Mesopotamia. Oxford: Oxford University Press. p 116-119.

(١٠٤) إلياد، ميرسيا. (١٩٨٧). تاريخ المعتقدات الدينية. ترجمة: عبدالهادي عباس. ج١. دمشق: دار دمشق. ص ص٩٤-٩٥.

وكان قائدهم "كنكو"، وأضعفتهم وحاولت قتلهم، وبعد فترة من الزمن ولد للإله أنكي ابنه "مردوخ" الذي تميز بالثقافة والحكمة، وأدرك الآلهة الكبار أنهم لا قبل لهم بمواجهه تيامات وجيشها القوي من الشياطين وحاولوا مراراً التصالح معها لكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل، عندئذ طلب الآلهة الكبار من مردوخ أن ينازل تيامات ويخلصهم منها، ووافق مردوخ على ذلك ولكن بشرط أن يجعلوه صاحب السلطة العليا والمطلقة على كل الآلهة، وفي مجلس "الأنوناكي" (أنو/إنليل/أنكي) وافق الجميع على طلب مردوخ وأصبح ملكاً عليهم وقتل مردوخ تيامات وقطع جسدها إلى نصفين(١٠٥). الجدير بالذكر أن تيامات هذه، كما ذكرنا، كانت على هيئة أفعى عظيمة.

وصورت الأفعى كرمز للشر كذلك في عصر فجر السلالات السومرية (٣٠٠٠-٢٤٠٠ ق.م)، ويدل على ذلك ما وجد في معبد خصص لعبادة الإلهة (إينانا إلهة الحب والحرب) في حديقة نيبور، وهو جرة نقش عليها بشكل بارز قطة كبيرة تقاتل أفعى، وهذا التصوير ربما يحكي إحدى الأساطير المدونة عن إينانا/عشتار وعالم الأموات "العالم السفلي"؛ حيث ذكرت النصوص السومرية أن إلهة الحب والحرب قد نزلت إلى عالم الأموات على هيئة قطة كبيرة (انظر: الشكل ١٩)، وهي إحدى صفاتها الحيوانية التي تتشكل بها، وتصارعت مع رموز الشر في العالم السفلي، والأفعى هي التي تمثل رمز الشر في هذا العالم، وقد كتب على هذه الجرة بالمسمارية إينانا والأفعى(١٠٦).

وكذلك تذكر الأساطير السومرية أن اضطراب النظام الكوني بشكل مستمر ليس إلا بسبب أن هناك أفعى ضخمة تنذر برجوع العالم إلى العمى وذلك من خلال الآثام والأخطاء والجرائم التي يرتكبها البشر الذين بدورهم يتطلعون إلى التكفير وغفران ذنوبهم بممارسة الشعائر والطقوس المختلفة(١٠٧).

---

(١٠٥) مظهر، سليمان. (٢٠٠٢). قصة الديانات. ط٢. القاهرة: مكتبة مدبولي. ص ص٥٨-٦٣.

(١٠٦) Collins, P. (1994). The Sumerian goddess Inanna (3400-2200BC). Institute of archaeology 5. 103-118.

(١٠٧) ميرسيا إلياد، مرجع سابق، ٨٤.

وأما الأفعى في الفكر الفارسي قديماً فإن الأساطير الفارسية قد دمجت بين إله الشر والظلام "أهرمن" وبين الأفعى. وأهورا مزدا هو الإله الذي يصنع الأشياء الخيرة المرتبطة دائماً بالخير، ولذلك أهرمن يخلق مقابل كل خير أشياء شريرة. وهدفه الأول تخريب العالم وفساد البشر جميعاً ومن ثم من واجب المؤمنين أن يحاربوا باستمرار إله الشر(١٠٨).

وقد ارتبط رمز الأفعى وحركتها المتعرجة بالماء؛ حيث إن جريان النهر الذي يأخذ شكلاً متعرجاً أو أفعوانياً، قد نسبه القدماء إلى أن هناك أفعى ضخمة تشكل هذا التعرج في الأنهار وتصعد من جريان النهر أحياناً مشكلة بذلك الدمار والخراب وأنها تلتهم الأطفال، وهذه الخرافة يستخدمها ساكنو القرى والأرياف الواقعة على ضفاف الأنهر والمسطحات المائية وخصوصاً منطقة الأهوار، جنوب العراق(١٠٩). ولعل هذه القصة الخرافية جاءت إسقاطاً من أن الأفعى هي رمز للشر والدمار والخراب، حيث ربط الناس ما بين الأفعى وما يسببه فيضان النهر من دمار وخراب، وهذا في اعتقادي ما هو إلا نتاج الأساطير القديمة المتراكمة الخاصة بالأفعى وما حيك حولها من أنها تمثل رمزاً للشر والخراب والقتل.

ويضيف (بايل Bayley) أن الأفاعي مخلوقات أتت من بيئة صحراوية؛ فهي ترمز للدمار والخراب وهي تصيب بالشر من ينجح في عبور البحر الأحمر مغادراً مصر، وكذلك (ديل Diel) يعتقد أن الأفعى لا توحي بالخطأ الفردي فقط إنما هي أساس الشر في كل المخلوقات الدنيوية. وكذلك في أوروبا الوسطى ساد اعتقاد مفاده أن خصلات الشعر التي تؤخذ انتزاعاً من رأس المرأة وبتأثير نور القمر ستصبح أفاعي، وتقول بعض الأساطير الإسكندنافية إن سبب الطوفان أفعى ضخمة نائمة؛ فإذا استيقظت حدث الطوفان ودمر كل شيء.(١١٠)

---

(١٠٨) Skinner, Andrew C. Ibid. p 47.

(١٠٩) عبدالأمير الحمداني، مرجع سابق، ص١٢.

(١١٠) Cirlot, J. E. (2001). A dictionary of symbols. London: Taylor & Francis e-Library. p 286-289.

وإن بحثنا عن رمز الأفعى في الأديان السماوية، فسوف نجد أنها كانت رمزاً للشر والغواية؛ حيث وردت قصة سيدنا آدم وزوجته حواء وكيفية أنه تم غوايتهما من قبل أفعى في بعض الكتب السماوية القديمة – وإن كنا لا نثق بها كمسلمين لما وقع فيها من تحريف – حيث ذكرت هذه القصة في الإصحاح الثالث من كتاب التوراة(١١١). وذكرت هذه القصة أيضاً في القرآن الكريم ولكنها بشكل يختلف عما هو في كتاب التوراة، حيث لم يرد للأفعى أي ذكر ولا وصف في قصة سيدنا آدم وحواء(١١٢).

وفي موسوعة الأديان والأخلاق، ورد أن بعض المجتمعات القديمة تؤمن بأن الزلازل التي تحدث في الأرض ما هي إلا نتيجة لأفعى ضخمة تلتف على

(١١١) تصور القصة أن الحية كانت مخادعة بشكل كبير وأنها أكثر الحيوانات البرية خداعاً؛ حيث إن الله أمر المرأة وزوجها ألا يأكلا من الشجرة حتى لا يموتا، فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل إن الله يعلم أنكما لو أكلتما منها لانكشف لكما الكثير من الأمور ولأصبحتما مثل الله عارفين مفاتيح الخير والشر. وبما أن الشجرة ذات لون جميل ومغرية وتحت إغواء الحية قطفت المرأة من ثمار هذه الشجرة وأعطت زوجها منها وأكلا منها، وعندئذ أصبحا عريانين وأخذا يخيطان من ورق التين يصنعان لأنفسهما مئزراً يغطيان نفسهما، فقال لهما الله: هل أكلتما من الشجرة التي نهيتكما عنها؟ فقال آدم: إن هذا الأمر تم بسبب المرأة التي وضعتها معي وهي التي أعطتني من ثمر الشجرة فأكلت، ومن القصة يتوجه الرب للمرأة بسؤال أيضاً مستنكراً فعلتها حيث اعترفت المرأة (حواء) أن الأفعى هي التي أغوتها ولذلك جاءت النتيجة بأن حكم عليها الرب بأن تكون ملعونة من جميع الحيوانات والوحوش.. وجعل العداوة بينها وبين المرأة وذريتها وذرية الأفعى وكلاهما يدمر الآخر. انظر: الشنطي، عماد الدين عبدالله طه. (٢٠١٢). خطيئة آدم في التوراة والإنجيل والقرآن. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية. المجلد العشرون. العدد الأول: ص ص ٣٩–٦٣.

(١١٢) انظر: القرآن الكريم، سورة البقرة: آية رقم ٣٤–٣٥، سورة الأعراف: ١٩–٢٤، سورة طه: ١٢٣.

الأرض، وكذلك هناك من يعتقد أن أفعى تعيش تحت الأرض وبسبب نموها وتضخمها وحركتها تحدث الزلازل(١١٣).

وقد ارتبط رمز الأفعى بقوس قزح وأن المكان الذي يحط به قوس قزح على الأرض يصبح غير صالح للمياه ولا يصلح للزراعة أو السكن؛ حيث إنه أصبح مكاناً للأرواح الشريرة، هذه الأساطير يعتقد بها كل من القبائل الأسترالية والداهومية والفارسية القديمة(١١٤).

ويرتبط رمز الأفعى أيضاً بالسحر؛ حيث إن كلمة أفعى –Serpent – في بعض اللغات تعود للسحر أو لها علاقة بالشياطين، وفي السياق نفسه تحدثت الأساطير في (الهند، ماليزيا، أندونيسيا) عن ارتداء الأفعى لتاج من المجوهرات، وأنها تمتلك حجراً سحرياً أو جوهرة سحرية تقوم بإنارة الطريق لها، وأن من يقوم بمحاولة أخذه أو لمسه يقتل في الحال(١١٥)، وأن هذا الحجر أو الجوهرة إذا حصل عليها أحد وتم وضعها على مكان عضته الأفعى في جسم الإنسان فإنه يمتص السم جميعه(١١٦). وإلى هذه اللحظة وأنا أسمع من كبار السن أن هذه الجوهرة التي تسمى محلياً (خرزة)، من يحصل عليها تلبى جميع حاجاته وتقضى كل معاملاته دون أي تعقيد.

أما الوجه الآخر لرمز الأفعى الذي يدل على الخير، فعلى سبيل المثال تمثيلها للإله الحارس أو الحامي، وهذا بالطبع له دلالة خيرة غير دلالتها الشريرة، وصورت الأفعى كرمز للخير أيضاً في القرآن الكريم؛ حيث وردت في قصة سيدنا موسى – عليه السلام – حين ألقى عصاه وتحولت بأمر الله – عز وجل –

---

(١١٣) Hastings, J. (1908). Encyclopedia of Religion and Ethics. Edinburgh: T. & T Clark. Vol.11, p 402.

(١١٤) ثناء أنس الوجود، مرجع سابق. ص٨٣.

(١١٥) Hastings, J. Ibid. p 409.

(١١٦) كامل محمد بدوي، مرجع سابق، ص٣٤٧.

إلى أفعى أو ثعبان مبين كما ورد في القرآن الكريم(١١٧)، والتهمت حبال السحرة التي خيلت للناس أنها أفاع، وهذا المثال بالتأكيد يدل على غلبة الحق وزهقه الباطل.

ومن الأشياء التي نعتبرها من جانب الخير هي أن تصور الأفعى كرمز للخصوبة، وبناء على هذا الأمر ارتبطت بالقضيب، وهذا الدليل وجد في مواقع حضارة دلمون في البحرين وتحديداً في موقع الزلاق؛ حيث وجدت أعمدة حجر تشبه القضيب، وقد أزيلت من موقعها الأصلي ولكن لا يزال هناك عمود على شكل قضيب في موقع بابارالدلموني في البحرين، ويعود تاريخها إلى الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق.م، ولذلك الأفعى المنتصبة ربما تمتزج بالقضيب؛ بمعنى أن الأفعى والقضيب يعبران عن شيء واحد(١١٨). وهذا ربما يشير إلى أن تصوير الأفعى على الأختام الدلمونية ارتبط بهذا التصور.

ولذلك تقول آل ثاني(١١٩) إن بعض الباحثين أشاروا إلى أن الحيوانات

---

(١١٧) إن كانت الأفعى لم تذكر في القرآن الكريم في قصة سيدنا آدم بخلاف ما ورد في التوراة، بغض النظر عن مدى صدقه من عدمه، فإن القرآن الكريم ذكرها في قصة أخرى سواء ذكرها صراحة أو وصفاً، مثل قصة سيدنا موسى في سور مختلفة، وهي ذكرت صراحة في الآيات التالية: أتت بآيتين متشابهتين تماماً في سورة الأعراف وسورة الشعراء ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف: ١٠٧، والشعراء: ٣٢)، وجاء ذكرها في سورة طه ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ (طه: ٢٠). وذكرت وصفا في سورتي القصص والنمل ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ (القصص: ٣١، النمل: ١٠).

الثعبان هو الضخم العظيم من الأفاعي

الحية هي الاصغر

الجان: ضرب من الحيات سريع الحركة. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٦٨). لسان العرب. مجلد ١. القاهرة: دار المعارف. ص ص ٨٠-٤٨١.

(١١٨) Rice, M. Ibid. p 237-239.

(١١٩) آل ثاني، هيا. مرجع سابق. ص ١٥٢.

والزواحف التي صورت على الأختام الدلمونية ما هي إلا تعبير عن عبادة الخصب[١٢٠]. هذه الدلالة لتصوير الأفعى على الأختام الدلمونية بأنها رمز للخصوبة لم تكن من سمات مجتمع جزيرة فيلكا ومميزاته آنذاك فحسب، بل شابهه ووافقه بذلك عدة مجتمعات مجاورة وغير مجاورة.

ففي بلاد الرافدين عثر على كأس مصنوع من الاستياتيت الأصفر يخص الملك جوديا حاكم لجش (انظر الشكل ٢٠)، وهذا الكأس نقش عليه بشكل بارز اثنتان من الأفاعي ربما رمز للذكر والأنثى إشارة للإخصاب؛ حيث يريد الملك جوديا من الأفعى الملتوية التي تصاحبه خصوبة أراضى مملكته وهاتان الأفعيان تلتفان حول قضيب أيضاً وهذا القضيب مرتفع إلى الحد الأعلى من الكأس والمشهد يصور كأن هاتين الأفعيين تريدان أن تشربان من السائل المتدفق بينهما وخلف كل أفعى يقف تنين (موشخوشو) وهو ذو جناح يمسك بعصا[١٢١]. وكتب تحته بالمسمارية " إلى الإله ننجشيزيدا إله جوديا حاكم لجش، عسى حياته أن تطول، كرس هذا الكأس" هذا الكأس يعود تاريخه إلى ٢٢٠٠ ق.م[١٢٢].

وهناك الكثير من الأساطير التي تجسد الأفعى كرمز للخصوبة في مجتمعات مختلفة، منها – على سبيل المثال – الأسطورة الغانية، وعلى وجه الخصوص قبيلة الأشانتي؛ حيث تتحدث الأسطورة عن خلق الناس في الأرض، وأن الرب الأعلى بعث أفعى ثم أقامت لها بيتاً في النهر، وكان الناس في بداية الأمر يتعايشون دون جنس ولم تكن لديهم أية خبرة عن الحمل والولادة مثلاً، وفي يوم من الأيام سألتهم الأفعى هل لديكم أطفال فأجابوا بالنفي، ثم قالت لهم

---

(١٢٠) الصفدي، هشام (١٩٨٣). دراسة مقارنة لأختام الخليج العربي: الصلات الحضارية مع وادي السند والرافدين. دراسات الجزيرة العربية. الرياض: جامعة الملك سعود. ص ٣٠٧.

(١٢١) Nayernouri, T. (2010). Asclepius, Caduceus, and Simurgh as Medical Symbols Part I. Archives of Iranian Medicine 13, p 61.

(١٢٢) عبدالأمير الحمداني، مرجع سابق، ص١٠.

أنا سأعلمكم كيف تنجبون أطفالاً، وطلبت منهم أن يكونوا صفاً من الأزواج متقابلين، ثم قامت برش الماء على بطونهم مع قراءة بعض الطلاسم ثم أمرتهم أن يعودوا إلى منازلهم ويتضاجعون، ومنذ هذا الحدث تعلم هؤلاء الناس الجماع وتم إنجاب أول الأطفال بهذه الطريقة(١٢٣). وكذلك ارتبط رمز الأفعى بالخصوبة كونها ترمز للأنثى؛ حيث إن من أشهر رموز الأفعى المتعددة هو الشجرة التي تطابق العنصر الذكري، والأفعواني منها يرمز إلى العنصر الأنثوي(١٢٤).

وربما استخدمت التصاوير على الأختام الدلمونية لترمز إلى غرض الطب والشفاء، وهذا الغرض من التصوير أيضاً على الأختام الدلمونية كرمز للطب والشفاء ارتبط وتأثر بما حوله من الفكر الثقافي والحضاري للمجتمعات والحضارات المجاورة، وصورت الأفعى أيضاً كرمز للطب والشفاء في حضارات ومجتمعات أخرى بعيدة نسبيا عن مجتمع جزيرة فيلكا.

ففي بلاد الرافدين، وصف الإله ننجيشزيدا بأنه إله الشفاء ويرعى الطب، وهو أيضاً مسؤول عن الطبيعة وعن الدواء، ونحن نعرف – كما مر بنا سابقاً – أن هذا الإله رمزه الأفعى، وقد عثر على ختم أكدي يعود تاريخة إلى ٢٣٥٠– ٢١٥٠ ق.م. يصور الإله ننجشيزيدا يحمل كأس الخلود ومن خلفه أفعيان ملتويتان إحداهما على الأخرى(١٢٥) (انظر: الشكل ٢١)، وهذا الشكل يشابه تماماً تصوير الأفعى على بعض الأختام الدلمونية (انظر: الشكلين ٢٢، ٢٣)

إن تصوير الأفعى حول قضيب أو عصا وجد أيضاً في الأساطير الإغريقية؛ حيث صور إسكولبيوس إله الطب على هيئة أفعى تلتف حول عصا(١٢٦). وقد عرف الإغريق أيضاً الكثير عن سموم الأفاعي منذ زمن بعيد؛

---

(١٢٣) Hambly, Wilfrid D. (1931). Serpent worship in Africa. Anthropological Series 21, p 22.

(١٢٤) Cirlot, J.E. Ibid. p 280, 290-291.

(١٢٥) Campbell, J. (1976). The masks of god: Occidental mythology. New York: Penguin. p 11.

(١٢٦) Retief, François P. and Cilliers, L. (2005). Snake and staff symbolism and healing. ActaTheologicaSupplementum 7. p 189-199.

حيث استخدمت هذه السموم لعلاج الكثير من الأمراض، ويستخدم ترياق الأفاعي لمعالجة البصر(١٢٧)، ويستشهد كل من الفلاسفة أرسطو وبليني وأبقراط بكثير من سموم الأفاعي بكونها استعملت للعلاج، ويقول أبقراط: إن من يأكل لحم الأفعى فإنها تقيه وتحميه من الأمراض المستعصية وهو يقوي الأعصاب ولا يجعل الشيب يظهر مبكراً في الإنسان ودواء لمرض الجذام، وجلدها يداوي من عضاتها(١٢٨)، وفي الطب الحديث تستخدم سموم الأفاعي للكشف عن سلامة الأعضاء والحيوية عند الإنسان، فعلى سبيل المثال السموم العصبية تستعمل لفحص سلامة الجهاز العصبي، بالإضافة إلى أن سموم الأفاعي دخلت في الكثير من الصناعات الدوائية والعقاقير الطبية؛ فمثلاً الدواء الوحيد للشفاء من عضة الأفعى هو الأنتيفينين Antivenine وهذا المصل يصنع من سم الأفاعي ويحقن في الحيوانات على جرعات بسيطة، ومن ثم يتم زيادتها تدريجياً ليصبح للحيوان المحقون مناعة ضد هذا السم، ومن ثم تؤخذ كمية من دم هذا الحيوان ويصفى من المواد الصلبة فيه لينتج في النهاية مصل ضد سم الأفاعي(١٢٩).

وورد في موسوعة الأديان كذلك أن أكل لحم أو قلب الأفعى يجعل الإنسان يفهم لغة الوحوش والطيور، أو إذا جفف قلب الأفعى وربط على إنسان فإن السحر لا يؤثر فيه، وفي الهند اعتبرت الأفعى رمزاً للشفاء أيضاً وخصوصاً عند عقيدة الهندوس؛ حيث الإله ناجا الذي يتجسد بأفعى هو الذي يشفى كل أنواع الأمراض وخصوصاً ذات المصدر الجلدي(١٣٠).

---

(١٢٧) الرازي، أبي بكر. (٢٠٠٠). الحاوي في الطب. تصحيح: محمد محمد إسماعيل. بيروت: دار الكتب العلمية. ص ٢٨٦.

(١٢٨) الدميري، كمال الدين محمد. (٢٠٠٥). حياة الحيوان الكبرى. ج١. دمشق: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع. ص ص ١٣٤-١٣٥.

(١٢٩) كامل محمد بدوي، مرجع سابق، ص ٢١١.

(١٣٠) Hastings, J. Ibid. p 409, 4016.

وكذلك الذي يكتحل بدم الأفعى فإن بصره يصبح قويا جداً، وبالنسبة للمرأة الحامل فإنها تكون في أمان من عدم سقوط جنينها إذا علقت جلد الأفعى أو رأسها على رأسها، والطريف في علاج الأفعى لكثير من الأمراض أنه قديماً يعتقد أن جلد الأفعى يشفي مرض العشق إذا اعتبرناه مرضاً، وكذلك من أخذ شيئاً من جسد الأفعى ووضعه معه دائماً فإنه لا يصاب بمرض الوسواس والجبن ويصبح شجاعاً(١٣١).

وفي وقتنا الحاضر تستخدم الأفاعي في الطب الشعبي لعلاج كثير من الأمراض؛ فعلى سبيل المثال يوجد دواء شعبي اسمه زيت الأفاعي، يتم صنعه من شحم الأفاعي، وهو يستخدم لعلاج مرض المفاصل(١٣٢).

ويضيف الحمداني أن الممارسات التي قرأ عنها في الأساطير القديمة والتي تحدثت عن العلاج والشفاء من خلال الأفاعي ما زالت تمارس إلى وقتنا الحاضر، حيث إنه يتذكر كيف كانت العجائز يبحثن في جحور الأفاعي عن جلودها التي استبدلتها حيث يصنعن منها مسحوقاً ذا لون قرمزي فاتح لمعالجة التهاب العيون والأمراض الجلدية(١٣٣). إذن هناك ممارسات متشابهة ورموز ربما متطابقة لتصوير الأفعى على أنها تشير إلى الخصوبة و الطب والشفاء منذ آلاف السنين، واستمرت هذه الرموز لتشكل في قتنا الحاضر بعض العلامات الدالة، كرمز الأفعى الذي نشاهده اليوم شعاراً للدواء(١٣٤)، وشعاراً لكثير من المؤسسات الطبية مثل الصيدليات (انظر: الشكل ٢٤).

(١٣١) ثناء أنس الوجود، مرجع سابق، ١٢٢-١٢٤.

(١٣٢) كامل محمد بدوي، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

(١٣٣) عبدالأمير الحمداني، مرجع سابق، ص ١٢.

(١٣٤) Campbell, J. Ibid. p 11.

الخاتمة:

في هذا البحث تم تعرف أنواع الأفاعي في دولة الكويت ومنطقة شبه الجزيرة العربية، وقمنا بحصر عدد الأختام الدلمونية التي صور عليها رمز الأفعى في دراسة كيروم للأختام الدلمونية في جزيرة فيلكا، وتم تصنيف هذه الأختام على أساس الموقع الأثري الذي وجدت فيه. ومن ثم في المطلب الأخير حاولنا أن نتعرف احتمالات دلالات واستخدامات رمز الأفعى على هذه الأختام ومدى ارتباطها بدلالات وممارسات أخرى مشابهة في مجتمعات مختلفة. ومن خلال هذا البحث تم التوصل إلى أن مجتمع جزيرة فيلكا منذ القدم لم يكن في معزل ولم يعش منفرداً عما يحيط به من ثقافات وحضارات، بل كان على اتصال دائم ومستمر مع ما يحيط بها من حضارات ومجتمعات، لذلك نجد التأثيرات الحضارية المتنوعة تظهر على بقايا آثار جزيرة فيلكا في فتراتها المتعاقبة والمختلفة، فكل موقع أثري من مواقع جزيرة فيلكا يحكي لنا قصة حياة أمة وشعب مضى واندثر، وهذا ظاهر وواضح جلي على بقايا ما خلفه هؤلاء الأولون من آثار. وفي هذا البحث اخترت موضوعاً صغيراً في رسمه وتصويره لكنه واسع في استخداماته ودلالاته ومعانيه، وهو رمز الأفعى كأن تكون مثلاً الأفعى هي الإله، والحارسة، والشريرة والخيرة، وقد وجدنا أن هناك تشابهاً في دلالات رموز الأفعى ومعانيها بين مجتمعات عديدة ومتنوعة أثرت من ثم على بعض الممارسات والمعتقدات الدينية في هذه المجتمعات. إن هذا التشابه والتوافق في استخدامات رموز الأفعى، إنما يدل على الإتصال الحضاري بين شعوب المنطقة، واشتراكهم تقريباً في نفس المعتقدات والممارسات الدينية أو الاجتماعية... وهذا بالطبع شكل فيما بعد إرثاً تراكمياً للثقافة؛ حيث إستمر من الفترات القديمة إلى وقتنا الحاضر، بل سيستمر إلى الفترات المقبلة لأن تناقل الأساطير والروايات والحكايات في ديمومة لا متناهية ولا منقطعة، وهي بذلك سوف تؤثر في ثقافتنا، وهو الأمر الذي سينعكس على ممارستنا العادية في حياتنا اليومية. لذلك مجتمع جزيرة فيلكا في العصر البرونزي ليس إلا جزءاً من منظومة ثقافية وحضارية

واسعة تم فيها عولمة بعض العادات والمعتقدات والممارسات الفكرية التي آمن بها وتأثر بها وقلدها ومارسها. وظهر هذا التأثير على سماتها الحضارية، ومنها بالطبع الأختام، ومن ناحية أخرى ربما أسهم مجتمع جزيرة فيلكا بصورة أو بأخرى في إيصال هذه المعتقدات إلى البلدان الواقعة جنوب الخليج العربي ونشرها فيها، وذلك إذا ما اعتبرنا أن جزيرة فيلكا كانت حلقة الوصل بين المناطق الواقعة شمال الخليج العربي (حضارات بلاد الرافدين) والمناطق الواقعة جنوب الخليج العربي مثل ماجان (عمان حالياً) ووادي السند. ولذلك هذا البحث ما هو إلا نقطة البداية في دراسة دلالات رموز الأختام الدلمونية في جزيرة فيلكا، التي تحتاج ربما إلى مئات البحوث لتغطيها وذلك لكثرتها وتنوعها. وعلى ضوء ذلك نوصي بمزيد من الدراسات والبحوث التي تتمحور حول مواضيع الأختام الدلمونية ودلالاتها في جزيرة فيلكا، التي من الممكن أن تزيح الستار عن تاريخ اجتماعي وديني واقتصادي سابق في جزيرة فيلكا والخليج العربي.

ملحق الأشكال

الشكل (١) – أفعى الفئران (Yildiz,. 2011)

الشكل (٢) – أفعى ورقية الأنف (Jablonski, et el 2014)

الشكل (٣) – الأفعى العمياء (الفارس ٢٠١٤)

الشكل (٤) – أفعى بو الرمل (Habeeb 2016)

الشكل (٥) – الثعبان الصخري (Baig, and Masroor, 2008)

الشكل (٦) – الثعبان الصخري (Khan 1997)

الشكل (٧) – ثعبان أبو السيو (Marx 1986)

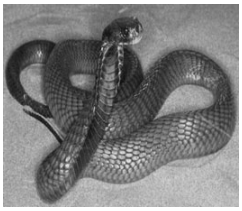

الشكل (٨) – الكوبرا العربية (Mahaba 2000)

تابع: ملحق الأشكال

الشكل (٩) – الأفعى المقرنة (Wagner and Thomas2010)

الشكل (١٠) – أفعى الطفي المنشارية (Babocasy 2004)

الشكل (١١) – أفعى السجاد الشرقية (Arnold et al 2009)

الشكل (١٢) – ثعبان البحر ذو الثنية (Kidera et al 2014)

الشكل (١٣) – ثعبان البحر ذو الحلقات (Rasmussen et al 2011)

الشكل (١٤) – ثعبان البحر أصفر البطن Bangsgaard, P. et al. (2012)

خريطة (١) – دولة الكويت ويظهر فيها موقع جزيرة فيلكا (المطيري ٢٠١٠)

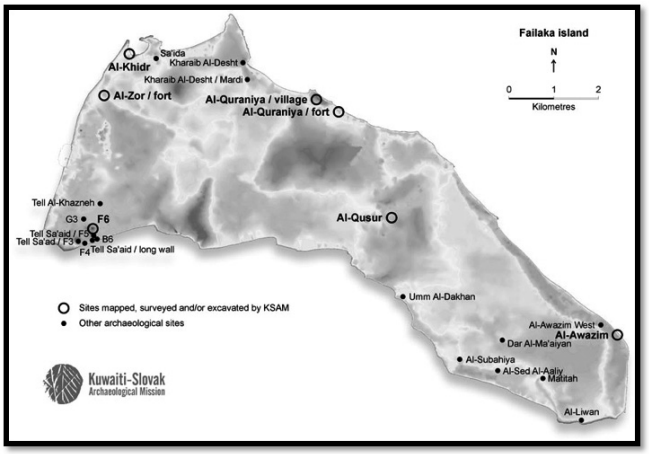

خريطة (٢) – جزيرة فيلكا (البعثة الكويتية السلوفاكية ٢٠٠٤)

الشكل (١٥) – الإلهة تيامات الثعبان
(الحمداني ٢٠٠٨)

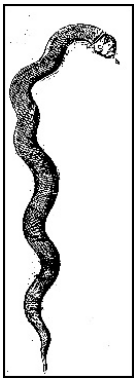

الشكل (١٦) – (Skinner2001)

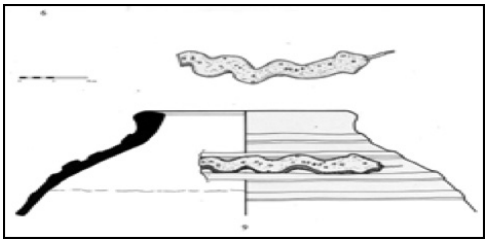

الشكل (١٧) – (Anne 2007)

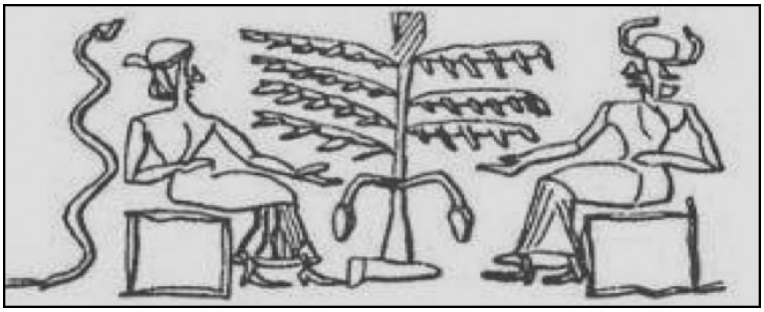

الشكل (١٨) – (الحمداني ٢٠٠٨)

الشكل (١٩) – (الحمداني ٢٠٠٨)

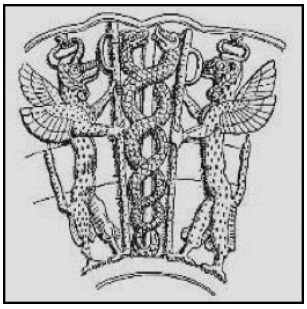

الشكل (٢٠) – (الحمداني ٢٠٠٨)

الشكل (٢١) – (Campbell 1976)

الشكل (٢٢) – ختم دلموني من موقع ف٣ (كيروم ١٩٨٣)

شكل (٢٣) – ختم دلموني من موقع ف٦

شكل (٢٤) – (بدوي ١٩٩٧)
(كيروم ١٩٨٣)

المراجع

أولاً – المراجع العربية:

- الأزرقي، أبوالوليد محمد. (٢٠١٠). **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**. بيروت: دار الأندلس. ص٥٨–٥٩.
- إبراهيم، نبيلة. (٢٠٠٠). **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر. ص٨٠.
- إبراهيم، مجدي. (٢٠١٦). الأفاعي أسطورة الخير والشر. **المجلة العربية** ٤٧٥. ص ٢٣–٢٩.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٦٨). **لسان العرب**. مجلد ١. القاهرة: دار المعارف.
- آل ثاني، هيا. (١٩٩٧). **الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ: صلات دلمون بآمورو والآموريين** ٢٠٥٠–١٥٣٠ ق. م. مصر: مركز الكتاب للنشر.
- البهنسي، عفيف. (١٩٨١). **معجم مصطلحات الفنون**. بيروت: دار الرائد العربي. ص٥٥.
- البياتي، عبدالحميد فاضل. (٢٠١٣). **تاريخ الفن العراقي القديم**. الحله: جامعة بابل. ص ٣٤–٣٥.
- الحمداني، عبدالأمير. (٢٠٠٨). مكانة الأفعى في المعتقدات الرافدانية. **مجلة الآداب السومرية**. العدد ٣. ص ١.
- الحمداني، عبدالأمير. (٢٠٠٩). صورة النخلة في المعتقدات الرافدينية. **مجلة الآداب السومرية**. العدد ٤. ص١–٢
- الخالد، مشاري. (٢٠١٣). إنتاج ثعبان الأرقم. ألكويت: **مجلة زواحف الكويت** ٦، ص ٤٢.
- إلياد، ميرسيا. (١٩٨٧). **تاريخ المعتقدات الدينية**. ترجمة عبدالهادي عباس. ج١. دمشق: دار دمشق. ص٩٤–٩٥.

- أنس الوجود، ثناء. (١٩٨٤). **رمز الأفاعي في التراث العربي**. جامعة عين شمس: مكتبة الشباب.
- بارو، أندريه. (١٩٧٩). **سومر فنونها وحضارتها**. ترجمة عيسى سلمان وطه التكريتي: بغداد، وزارة الثقافة والإعلام. ص ٨٠.
- الدميري، كمال الدين محمد. (٢٠٠٥). **حياة الحيوان الكبرى**. ج١. دمشق: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع. ص ١٣٤-١٣٥.
- الرازي، أبي بكر. (٢٠٠٠). **الحاوي في الطب**. تصحيح، محمد محمد إسماعيل. بيروت: دار الكتب العلمية. ص ٢٨٦.
- البازعي، سعد. (٢٠٠٠). **دليل الناقد الأدبي**. ط٢. بيروت: المركز الثقافي العربي. ص ١٠٨.
- السعدون، محمد؛ الفراج، سعود. (١٩٩٢). **الثعابين السامة في المملكة العربية السعودية: أنواعها، أماكن وجودها والوقاية من سمومها**. الرياض: حقوق الطبع للمؤلفين. ص٢٨.
- الشنطي، عماد الدين عبدالله طه. (٢٠١٢). خطيئة آدم في التوراة والإنجيل والقرآن. **مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية**. المجلد العشرون. العدد الأول: ص ٣٩-٦٣.
- الصفدي، هشام (١٩٨٣). دراسة مقارنة لأختام الخليج العربي: **الصلات الحضارية مع وادي السند والرافدين. دراسات الجزيرة العربية**. الرياض: جامعة الملك سعود.
- الفارس، أسعد. (٢٠١٤). **دليل تصنيف الأفاعي الصحراوية ذات االقرون في البيئة الكويتية**. الكويت: معهد الأبحاث العلمية.
- الماجدي، خزعل. (١٩٩٨). **متون سومر: الكتاب الأول التراتيخ، الميثولوجيا، اللاهوت والطقوس**. المملكة الأردنية الهاشمية: الأهلية للنشر والتوزيع. ص ٨١.

- المقدسي، صبري. (٢٠٠٧). **الموجز في المذاهب والأديان**. ج١. أربيل: مكتب الاستاذ سركيس اغاخان. ص ٣٢-٣٣، ٣٧.
- الهاشمي، طه. (١٩٦٣). **تاريخ الأديان وفلسفتها**. بيروت: دار مكتبة الحياة. ص ١٢.
- مادة رمز: قاموس المعاني.
- **القرآن الكريم**، سورة البقرة: آية رقم ٣٤-٣٥، سورة الأعراف: آية رقم ١٩-٢٤، سورة طه: آية رقم ١٢٣.
- **القرآن الكريم**، سورة الأعراف: آية رقم ١٠٧، سورة الشعراء: ٣٢، سورة طه: آية رقم ٢٠، سورة القصص: آية رقم ٣١، سورة النمل: آية رقم ١٠.
- باقر، طه. (١٩٦٢). **ملحمة كلكامش: أوديسة العراق الخالدة**. بغداد: وزارة الإرشاد. ص٢٣-٢٤.
- باقر، طه. (٢٠٠٩). **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**. لندن: دار الوراق للنشر. ص ٢٥-٣٠.
- بقاعين، حنا. (٢٠٠٣). معجم العمارة، ج١. بغداد: المجمع العلمي العراقي.ص ١٠٣.
- بدوي، كامل محمد. (١٩٩٧). **عالم الثعابين**. مكة المكرمة: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف. ص ٣٤٧.
- بعلبكي، روحي. (١٩٩١). **المورد**. لبنان: دار العلم للملايين. ص٥٩٥.
- حميد، فوزي محمد. (٢٠٠٢). **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**. دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية. ص ١٣٠-١٣٤.
- داود سليمان، يلدز. (٢٠١٥). مقارنة بين المعتقدات الدينيةلبلاد الرافدين والعرب ما قبل الإسلام (دراسة تاريخية مقارنة). **مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية**. المجلد ٥، العدد ١. ص ١٩٨-١٩٩.

- رانيلا، أ.ل. (١٩٩٩). الماضي المشترك بين العرب والغرب. ترجمة. نبيلة إبراهيم. الكويت: **عالم المعرفة** ٢٤١. ص ٦٢-٦٣.
- رشيد، فوزي. (١٩٨٥). **الديانة: المعتقدات الدينية. كتاب حضارة العراق، الفصل الخامس**. بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث. ص ١٦٤-١٧٠.
- شمّار، جورجبوييه. (١٩٨١). **المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية.** ترجمة سليم الصويّص. بغداد: دار الرشيد للنشر. ص٧٧.
- فتوحي، عامر حنا. (٢٠٠٧). **الكلديون/الكلدان منذ بدء الزمان: بحث في الهوية القومية الكلدية/الكلدانية**. ط٢. الولايات المتحدة الأمريكية: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.
- قانصو، أكرم. (١٩٩٥). التصوير الشعبي. **عالم المعرفة** ٢٠٣، ٨٥-٨٦.
- طومسون، جورج. (١٩٧٥). **اسخيلوس وأثينا**. ترجمة صالح الكاظم. بغداد: وزارة الإعلام العراقي. ص٢٨.
- عبدالله، منى محمد أنور. (٢٠٠٨). **الرمز في الفن الشعبي التشكيلي بمصر واستخدام رموز الحب والكراهية في تصميم المنسوجات**. جامعة فيلادلفيا: المؤتمر الدولي الثالث عشر لكلية الآداب والفنون. ص١٤.
- كريمر، صمويل نوح. (١٩٧٤). **أساطير العالم القديم**. ترجمة أحمد عبدالحميد يوسف. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب. ص٧٠.
- كلارك، رندل. (١٩٩٩). **الرمز الأسطورة في مصر القديمة**. ترجمة احمد صليحه. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص٢٣٨.
- مطر، سليم. (٢٠٠٤). **خمسة آلاف عام من الأنوثة العراقية: موسوعة الهوية النسوية في ميزوبوتاميا.** بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص١٢- ٢٠
- مظهر، سليمان. (٢٠٠٢). **قصة الديانات**. ط٢. القاهرة: مكتبة مدبولي. ص٥٨-٦٣.

ثانياً – المراجع الأجنبية:

- Al-Jammaz, Ibrahim A. (2001). Effects of single doses of Bitisarietans crude venom on serum.
- biochemical parameters in rats.*Scientific Journal of King Faisal University (Basic and Applied Sciences)* 2. (1), 103-112.
- Anne, B. (2007). An Iron Age II snake cult in the Oman peninsula: evidence from Bithnah (Emirate of Fujairah). *Arabian archaeology and epigraphy*. 18, p34-54.
- Arnold, N., Robinson, Michael D. and Carranza, S. (2009). A preliminary analysis of phylogenetic relationships and biogeography of the dangerously venomous Carpet Vipers, Echis (Squamata, Serpentes, Viperidae) based on mitochondrial DNA sequences. *Amphibia-Reptilia* 30, 273-282.
- Anne, B. (2008). The Iron Age Culture in the United Arab Emirates between 1100 BC and 250 BC.*Bulletin of Archaeology*, Kanazawa Univ. 29, p31-41.
- Babocasy, G. (2001). *Sexual differences in geographic variation of some morphological characters in Echiscoloratus (VIPERIDAE, OPHIDIA). In: Lymberakis, P. et al., Eds., Herpetologia Candiana, p 39-42.*
- Babocasy, G. (2004). A new species of saw-scaled viper of the Echiscoloratus complex (Ophidia: Viperidae) from Oman, Eastern Arabia. *Systematics and Biodiversity* 1(4), p 503-514.
- Baig, Khalid J. and Masroor, R. (2008). The snakes of the genus Spalerosophis JAN, 1865 in Indo -Pakistan and Iran. (Squamata: Serpentes: Colubridae). *Herpetozoa* 20. (3/4), 109 - 115.
- Black, J. and Green, A. (2008). *Gods, demons and symbols of ancient Mesopotamia*. London: The British Museum Press.
- Bangsgaard, P. et al. (2012). *Qatar islamic archaeology and heritage project: end of season report; environmental studies*2011-2012.Qatar: University of Copenhagen and Qatar Museums Authority. p70.
- Brier, B. (2001). *Ancient Egyptian magic: spells, incantations, potions, stories, and rituals. New York: Perennial.*

- Budge, E. A. W. (2001). *Amulets and magic*. London: Kegan Paul.
- Callot, O. (1984). Monetary finds at Tell Khazna. In D. Calvet and J. Salles (eds), FailakaFoulillesFrancaises 1984-1985. *Travaux De La Maison De L'Orient*12: 291.
- Cirlot, J. E. (2001). *A dictionary of symbols*. London: Taylor & Francis e-Library. P 286-289.
- Collins, P. (1994). The Sumerian goddess Inanna (3400-2200BC*)*. *Institute of archaeology* 5. 103-118.
- Campbell, J. 1976. *The masks of god: Occidental mythology*. New York: Penguin. p11.
- Cowan, J. (1994). *Forward. Kun-Man-Gur the Rainbow Serpent*. Boston & Bath: Barefoot Books, p1-2.
- Dalley, S. (2000). *Myths from Mesopotamia*. Oxford: Oxford University Press. p 116-119.
- Davied-Cuny, H and Azpeitia, J. (2102). *Failaka seals catalogue: volume 1 Al-Khider*. Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters.
- Davied-Cuny, H and Neyme, D. (2016). *Failaka seals catalogue: volume 2 F6* "*The Palace*". Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters.
- Espak, P. (2006). Ancient Near East gods Enki and Ea: diachronical analysis of texts and images the earlist sources to the Neo-Sumerian period. Unpublished MA thesis: Tartu University.
- Golding, W.R.J. (2013). *Perceptions of the serpent in the ancient Near East: its Bronze Age religion apotropac magic, healing and protection*. South Africa: University of South Africa.
- Habeeb, Israa N. and Pouyani, Nasrullah R. (2016). Geographical distribution of the snakes of Iraq.*Mesopotamia Environmental Journal* Vol.2. (3). p 67-77.
- Hamacher, D.W. (2011). Meteoritics and Cosmology Among the Aboriginal Cultures of Central Australia. Journal *of Cosmology*, Vol: 13, p. 3743-3753.

- Hambly, Wilfrid D. (1931). Serpent worship in Africa. *Anthropological Series* 21, p 22.
- Hawkes, Jacquetta. (1973). *The first great civilizations*. New York: RandomHouse. p203
- Hastings, James. (1908). *Encyclopedia of Religion and Ethics*. Edinburgh: T. & T Clark. Vol.11, p402
- Herrmann, J.T, Casana, J and Qandil, H. (2012). A sequence of inland desert settlement in the Oman peninsula: 2008-2009 excavations at Saruq al-Hadid, Dubai, UAE. *Arabian archaeology and epigraphy*. 23, p50-69.
- Jablonski, D., Frynta, D., and Del Marmolmarin, Gabriel M. (2014). New records of the Awl-headed Snake (Lytorhynchusdiadema) from northeastern Morocco. *Herpetology Notes* 7. p 295-297.
- Jackson, S and Mirick, P. (1914). *Massachusetts snakes a guide*. USA: United States Department of Agriculture cooperating. p 2.
- Jacobsen, T and Alster, B. (2000). *Ningiszida's Boat-Ride to Hades*. in: A. R. George/ I. L. Finkel (eds.), Wisdom, Gods and Literature. Studies in Assyriology in Honour of W. G. Lambert. Winona Lake: Eisenbraun. p 315.
- Jones, C.A. and Ryan, J.D. (2007). Encyclopedia Of Hinduism.(ed.) *Encyclopedia of Religion*. Vol.1. p 83.
- Khan, Muhammed S. (1997). Taxonomic notes on pakistani snakes of the coluberkarelinirhodorachisventromaculatus species complex: a new approach to the problem.*Asiatic Herpetological Research* 7. p51-60.
- Kidera, N. *et al*. (2014). Notes on the occurrence and habitat of hydrophisornatus (Gray 1842) (Reptilia: Squamata: Elapidae) in the Ryukyu Island, Japan. *Fauna Ryukyuna*20. p 7-13.
- Kjaerum, P. (1983). Failaka/Dilmun: the second millennium settlements, the stamp and cylinder seals. *Jutland Archaeological Society Publications* XVII, 1.
- Leonardo, C. (2001). The rivers ran east. California: Publishers Group West. p58.

- Londie, T. (2015). Arabian sand boa Eryxjayakari (Squamata: Boidae) preying on Arabian toad-headed agama Phrynocephalusarabicu (Squamata: Agamidae): a nocturnal-to-diurnal species interaction. *Herpetology Notes* 8, 155-156.
- Magee, P. (1998). New Evidence of the Initial Appearance of Iron in Southeastern Arabia. Arabian archaeology and epigraphy. 9, 112-117.
- Macdonald, F. (2009). *Passport to the past: The Aztec and Mayan World*. New York: The Rosen Publishing Group. p 4-5.
- Mahaba, Hisham M. (2000). Snakebite: epidemiology, prevention, clinical presentation and management. *Annal of Saudi Medicine*. Vol. 20. No. 1, p 66-68.
- Mundkur, B. (1983). *The cult of the serpent: An interdisciplinary survey of its manifestations and origins*. Albany: State University of New York Press.
- Marx, I. (1986). The colubrid snake, psammophisschkari, from the Arabian Peninsula. *Fieldiana Zool. New Series*. 40(1383): 1-16.
- Masood, Mostafa F. (2012). Ecological distribution of snakes' fauna of Jazan region of Saudi Arabia. *Egyptian Academic Journal of Biological Sciences* 4 (1). P 183-197.
- Mathiesen, H. (1982). Ikaros: the terracotta figurines. *Jutland Archaeological Society Publication* 16. (1): p7-88.
- Morris, D. and Morris, R. (1965). *Men and snakes*. London: Hutchinson & Co.
- Nilson, G. and Rastegar-Pouyani, N. (2007). Walterinnesiaaegyptialataste, 1889(ophidian: Elapidae) and the status of Najamorganimocquard 1905. *Russian Journal of herpetology*. Vol. 14 No.1, p 7-14.
- Nayernouri, T. (2010). Asclepius, Caduceus, and Simurgh as Medical Symbols Part I. *Archives of Iranian Medicine* 13, p 61.
- Osborn, L. (2015). *Ancient Greek Mythology in the Modern Albanian Epic, Songs of the Frontier Warriors*. Unpublished Thesis: The University of Arkansas. p 27.

- Pinch, G. (2006). *Magic in ancient Egypt*. London: The British Museum Potts, D.T. (2007). Revisiting the snake burials of the late Dilmun building complex on Bahrian. *Arabian archaeology and epigraphy*.18, p 65-66.
- Potts, D.T. (2003). *The Arabian Gulf in antiquity: from prehistory to the fall of the Achaemenid Empire*. Abu Dhabi: Cultural Foundation. p 286.
- Rasmussen, Arne R., Elmberg, J., Gravlund, P. and Ineich, I. (2011). Sea snakes (serpents: subfamilies Hydrophiinae and Laticaudinae) inVietnam: a comprehensive checklist and an updated identification key. *Zootaxa* 2894. p 1-20.
- Retief, François P. and Cilliers, L. (2005).Snake and staff symbolism and healing. *ActaTheologicaSupplementum* 7. p 189-199.
- Rice, M. (2002). *The archaeology of the Arabian Gulf*. United Arab Emirates: Cultural Foundation Publications.
- Salles, J. F. (1984). Excavations at Tell Khazna. In D. Calvet and J. Salles (eds), FailakaFoulillesFrancaises 1984-1985. *Travaux De La Maison De L'Orient*12. p 107.
- Sasaki, K. Sasaki, Y. and Fox, S.F. (2010). Endangered traditional beliefs in Japan: influences on snake conservation. Herpetological Conservation and Biology 5(3).p 474-485, Sasaki, Y and Fox, S.F. (2010). Endangered traditional beliefs in Japan: influences on snake conservation. Herpetological Conservation and Biology 5(3). p 474-485.
- Shahi, Jyoti. (1980). *The child and serpent: Reflections of Popular Indian Symbols*. London: Routledge& Kegan Paul. p161.
- Skinner, Andrew C. (2001). Serpent symbols and salvation in the ancient Near East and the Book of Mormon. *Journal of Book Mormon Studies* 10/2. p 46.
- Sanders, N.K. (1972). *The epic of Gelgamish*. London: Penguin Books. p 16-18.
- Soorae, P., Alquaroaz, M. and Grander, Andrew S. (2010). An overview and checklist of the native and alien Herpetofauna of the

United Arab Emirates. *Herpetological Conservation and Biology* 5 (3), 529-536.

- Wagner, P and Thomas, M Wilms. (2010). A crowned devil: new species of CerastesLaurenti, 1768 (Ophidia, Viperidae) from Tunisia, with two nomenclatural comments. *Bonn Zoological Bulletin* 57. (2), p 297-306.
- Watterson, B. (1999). *Gods of ancient Egypt*. Surrey: Bramley Books. p 129-131.
- Wiggerman, F. A. M. (1997). *Transtigridian snake gods*. inFinkel& Geller (eds). Sumerian gods and their representations ((Cuneiform Monographs 7). Groningen: STYX Publications. p 37.
- Yildiz, Mehmet Z. (2011). Distribution and morphology of Platycepsventromaculatus (Gray,1834) (Serpentes: Colubridae) in south-eastern Anatolia, Turke. *North-Western Journal of Zoology* 7 (2). p 291-296.
- Yaseen, Ghassan T. (2011). Qur'an and Archeological Discoveries: Evidence from the Near East *World Journal of Islamic History and Civilization* 1 (3): 201.